عونك اللهم وتأييدك

الحمد لله رب العالمين . المقدس عن صفات المحدودين . والمنزه عن مقالة الزائغين الملحدين . علا ربنا فكان فوق سبع سمواته يعلم السر وأخفى . ويسمع الكلام والنجوى . ويبصر دبيب النملة السوداء . على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء . فلا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء . ولا فى لجج البحار ولا فى الهواء .

وأعلمنا جلَّ وعلا أنه ينزل كل ليـلةٍ إلى سماء الدنيا فيسأل عن عباده المستغفرين بالأسحار . فلا يزال يقول : من يدعونى . من يسألنى . من يستغفرنى حتى يتنفس النهار .

أحمده على ما منَّ علينا من الإيمان بجميع صفاته التى وصف بها نفسه فى محكم تنزيله . وعلى لسان نبيه وصفيه وخليله . حمداً يليق بجلاله . ويستجلب المزيد من نعمه وأفضاله .

وأشكره شكر معترف بالعجز عن الوفاء بحق عبوديته . ومقرٍّ بكمال وحدانيته وشمول ربوبيته . وراهبٍ خائف من عقابه لكثرة ذنبه وخطيئته .

وأشهد أن لا إله إلا الله إلهاً فرداً . واحداً صمداً . لم يتخذ صاحبـةً ولا ولداً . له الأسماء الحسنى تقدَّست من أسماء . فهو الإله المعبود فى الأرض والسـماء . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المجتبى لأداء خاتم رسالاته . والمخصوص من خلقه بالشرف الفائق على أهل أرضه وسمواته . والمبعوث بالهداية التامة . والرحمة العامة . والمبلِّغ عن ربه جلَّ وعلا حقائق الرسالة . والمنقذ أمته من مهاوى الردى والضلالة . فعليه صلوات الله وسلامه حياً محموداً . وميتاً مفقوداً . أوفى صلاةٍ وأنماها . وأطيبها وأزكاها . وعلى آله وصحبه الطاهرين الطيبين .

أما بـعد . .

فإننى أحذر إخواننا من أهل الإيمان ((مذهب الحلولية)) . الذين لعب بعقولهم واستهواهم الشيطان . وأخرجهم بسوء اعتقاداتهم عن سبيل الحق إلى طرائق الضلال والبهتان . وإلى مذاهب رديئة لا ينتحلها إلا الحائدون عن هداية الأديان .

وما أشبه هؤلاء الزائغين المبتدعين . الذين تعوضوا عن نصوص الوحى بزبالة أذهان المتحيرين . وورثة الصابئة وأفراخ الفلاسفة الملحدين . ما أشبههم بمن كان غـذاؤهم المن والسلوى تـتنزل عليهم بلا جهد ولا عمل . فاستبدلوا بها الفوم والعدس والبصل . فكان جزاؤهم أن ((ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من اللّه)) .

وما أشبههم بمن اختصهم الله برحمته . واصطفاهم من خليقته . فأنزل إليهم بينات من الأمر . فـنبذوها وراء ظهورهم واتبعوا ما تـتلو الشياطين من السحر . و ((لبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)) .

فلا إله إلا اللَّه الحليم الكريم . وسبحان اللّه رب العرش العظيم . كم هدمت معاول المبتدعين من حصون الإيمان ومعاقله ! . وكم أحيت ما أمات الإسلام من زخرف الشيطان وباطله ! . وكـم تطاولت ألسنتهم بالطعـن فى أهل السنة والجماعة . ورموهم بألقابٍ هى الغاية فى البهت والشناعة ! . فقد صار كشف عورات كلامهم حتماً لازماً على العارفين . وبيان مفترياتهم وتزييفها جهاداً فى اللّه ونصرةً للدين . وإظهار تناقضهم ومفارقتهم لأحكام العقل وقضاياه إحياءاً لعقيـدة الموحدين الصادقين . الذين رضى اللّه عنـهم ورضوا عنه)) ذلك هو الفضل المبين ((.

قال الإمام أبو بكر الآجرى في ((كتاب الشريعة))(ص 255) :

حدثنا أبو بكر الفريابى ثنا الحسن بن على الحلوانى قال سمعت مطرف بن عبد اللّه يقول سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائـغون في الدين يقول : قال عمر بن عبد العزيز : ((سنَّ رسولُ اللّه وولاة الأمر بعده سنناً . الأخذ بـها اتباع لكتاب الله عز وجل . واستـكمال لطاعة الله عز وجل . وقوة على دين الله . ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها . ولا النظر في شئٍ خالفها . من اهتدى بها فهو مهتـدٍ . ومن استنصر بها فهو منصور . ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين . وولاه الله ما تولي . وأصلاه جهنم وساءت مصيراً .)) .

ولله درّ إمام السنة أبى عبد اللَّه أحمد بن حنبل حيث يـقول في مقدمة كتابه ((الرد على الزنادقة والجهمية)) : ((الحمد لله الذى فى كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم . يدعون من ضل إلى الهدى . ويصبرون بنور الله أهل العمي . فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه . وكم من ضال تائه قد هدوه ! . فما أحسن أثرهم على الناس . وأقبح أثر الناس عليهم ! . ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال

المبطلين وتأويل الجاهلين . الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة . فهم مختلفون فى الكتـاب . يقولون على اللّه وفى اللّه وفى كتاب اللّه بغير علم . يتكلمون بالمتشابه من الكلام . ويخدعون جهال الناس بما يشتهون عليهم . فنعوذ بالله من فتنة المضلين)) اهـ .

وقد كان من أضل طوائف أهل البدع والضلال ((طائفة الجهمية)) . القائلين على اللّه جلَّ وعلا أشنع المقالات . والنافين عنه سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والأفعال والصفات . فانتصب لهم أئمة الإسلام . وأعلام الأنام . بما استحفظوا من كتاب اللّه وسنة رسول اللّه ينفون عن الدين تحريفهم . ويزيفون شنيع مقالاتهم ويكشفون أباطيلهم . حتى بقيت عقائد التوحيد محمية الجناب . وطيدة الأركان والأطناب . شامخة فوق رؤوس الآراء والأهـواء . منيفة المنار ساطعة الأضواء . تحقيقاً للوعد الصادق من إله الحق .)) لا تزال طائفة من أمتى ظاهريـن على الحق)) .

فصــل : فى إبطال مذهب الحلولية
وبيان أن قولهم ((الله فى كل مكان))
من أفحش أقوال الجاحدين لصفات الله

فصل : في إبطال مذهب الحلولية
وبيان أن قولهم ((الله في كل مكان))
من أفحش أقوال المعطلين لصفات الله تعالى

لقد خاض الجهمية المعطلون لصفات الله في بحار الضلال . وتكلموا على الله عزَّ ذكرُه بشنيع المقال . وخالفوا أمَّة الإسلام في محجة السبيل . وغلطوا غلطاً فاحشاً في التأويل . حين قالوا أن اللّه حالّ فى كل الأمكنة . لا يخلوا منـه مكان دون مكان .

فسبحان من لا يقدِّر الخلقُ قدرَه ومن هو فوق العرشِ فردٌ موحَّـدُ
مليكٌ على عرشِ السماءِ مُهيمنٌ لعزِتهِ تعنـو الوجــوهُ وتسـجدُ

فأيُّ تأويل أوحش . وأى مذهبٍ أفحش . ممن يدعى أن اللَّه جلَّ وعلا فى كل مكان . وأنه مختلط بكل خبيث نجس . وملاصق لكل شيطان رجس . وينكر أنه مستوٍ على عرشه . مباين لخلقه .

ويقال لكل جهميٍ معطلٍ : إنك تصف ربك بحلولٍ فى كل الأمكنة . ولا تقر باستوائه على عرشه . فلو شعرت أنك وصفته بأقبح مما عبت على غيرك . لأننا وصفناه بما وصف به نفسه ومدح به ذاته . أنَّه فوق السموات العلا . مستوٍ على عرشـه اسـتواءً يليق بجلاله وعظمته . لا يحمله العرش ولا ملائكته . بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته وعظيم جبروته وقوته . حيـث ليس معـه إنس ولا جانّ . ولا وحش ولا شيـطان .

ويقال لكل جهميٍ معطلٍ : إن أبيــت أن تـقرَّ أنه فوق العرش فى السماء . فاعلم أن عدو اللّه فرعون كان أعرف باللّه منك . فقد رام الوصول الى اللّه . وأمر ببناء الصرح للإطلاع إليه . وقال ((يا هامان ابن لى صرحاً لعلِّى أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطَّلع إلى إله موسى))(غافر 36 :37) . واعلم أنه ليـس فى كتاب الله آية إلا وتنقض دعواك وترد على تأويلك السقيم . فإن الله جلَّ ذكره يـقول ((الرحمن على العرش اسـتوى ((طه 5) ويقول)) ينزِّل الملائكة بالروح من أمره (((النحل 2) ويقول)) إن نشأ ننزِّل عليهم من السماء آيه فظلت أعناقهم لها خاضعين (((الشعراء 3) ويقول)) ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات (((النور 34) . ويقول ((إليه يصعد الكلم الطيـب والعمل

الصـــالح يرفعه))(فاطر 10) ويقول عن الملائـــكة ((يخافون ربهم من فوقهم))(النحل 50) ويـقول ((تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنه))(المعارج 4) . فى نظائر كثـيرة لهذه الآى .

قال إمام أهل السنة قاطبة أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمى فى كتابه الفذِّ ((الرد على الجهمية))(ص 66) ـ ومصنفه هذا شجى فى حلوق الجهمية المعطلة ـ : ((إجماع من الصحابة والتابعين وجميع الأمة ، فى تفسير القرآن والفرائض والأحكام : نزلت آية كذا فى كذا ، ونزلت آية كذا فى كذا ، ونزلت سورة كذا فى كذا ، لا نسمع أحداً يقول : طلعت من تحت الأرض ، ولا جاءت من أمام ، ولا أتـت من خلفٍ ، ولكن يقولون فى ذلك كلِّه : نزلت من فوق . وما يصنع بالتنزيل من هو بنفسه فى كلِّ مكان !! ، إنما يكون شبه مناولة ، لا تنزيلاً من السماء مع جبـريل ، إذ يقول سبحانه وتعالى ((قل نـزله روح القدس من ربك بالحق)) (النحل :102) ، والرب بزعمكم الكاذب فى البيت معه ، وجبريل يأتيه من خارج . هذا واضح ، ولكنكم تغالطون . فمن لم يقصد بإيمانه وعبادته إلى الله الذى استوى على العرش فوق سمواته ، وبان من خلقه ، فإنما يعبد غير الله ، ولا يدرى أين الله)) اهـ .

وأما الأحاديث النبوية والآثار المصطفوية فهى فوق العدِّ والإحصاء .

فمنها قصة المعراج . وهى مشهورة بل متواترة . وفيها ((أنَّ النبىَّ صلَّى الله عليه وسلَّم تجاوز السموات سماءً سماءً حتى إنتهى إلى ربه تعالى . فقرَّبه وأدناه . وفرض عليه خمسين صلاة . فلم يزل بين موسى عليه السلام وبين ربه فيسأله : كم فرض عليك ربك ؟ فيخبره . فيقول : ارجع إلى فسأله التخفيف . فيصعد إلى ربه يسأله حتى جعلها خمساً . ونودى : قد أمضيت فريضتى . وخففت عن عبادى وأجزى الحسنة عشراً ((.

وفى ((الصحيحين)) عن أبى هريرة أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال :((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار . ويتجمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر . ثم يعرج الَّذين باتوا فيكم . فيسألهم ربهم وهو أعلم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلُّون . وآتيناهم وهم يصلون)) .

وفى ((الصحيحين)) عن أبى موسى الأشعرى قال قام فينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بخمس كلماتٍ قال : ((إن اللَّه لا ينام ولا ينبغى له أن ينام . يخفض القسط ويرفعه .

يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار . وعمل النهار قبل الليل . حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ((.

وفى ((الصحيحين)) عن أبى هريرة عن النبىِّ صلىَّ الله عليه وسلمَّ قال : ((إنَّ في الجنـة مائة درجة . أعـدها اللَّه للمجاهدين في سبيله . كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض . فإذا سألتم اللَّه فسلوه الفردوس . فإنَّه أوسـط الجنَّة . وأعلى الجنَّة . وفوقه عرش الرحمن . ومنه تفجَّر أنهار الجنَّة ((.

وفى ((الصحيحين)) عن أنـس أن زينب بنـت جحش كانـت تفخر على النساء النبىِّ صلىَّ الله عليه وسلَّم وتقـول : ((زوَّجكنَّ أهاليكنَّ وزوَّجنى اللَّه تعالى من فوق سبع سموات)) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن منهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ـ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ـ ، ثُمَّ قَالَ : ((إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلام حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ! اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ ، قَالَ : فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا ، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، قَالَ : فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلا يَمُرُّونَ ـ يَعْنِي بِهَا ـ عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ ، فَيَقُولُونَ : فُلانُ بْنُ فُلانٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى ، قَالَ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ ،

فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ ، فَيَقُولُ : دِينِيَ الإِسْلامُ ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ ، فَيَقُولُ : هُوَ رَسُــولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولانِ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ ، فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ ، قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ ؟ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي ، قَالَ : ((وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ! اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ ، قَالَ : فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِلا قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ ، فَيَقُولُونَ : فُلانُ بْنُ فُلانٍ ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ ، فَلا يُفْتَحُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)) ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا ، ثُمَّ قَرَأَ ((وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)) ، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ ، فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ ، لا أَدْرِي ! ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ ، فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ ، لا أَدْرِي ! ، فَيَقُولانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ ، فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ ، لا أَدْرِي ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ كَذَبَ ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ، فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ ، فَيَقُولُ : رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ .

قال : حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ حَدَّثَنَا الْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ أَبِي عُمَرَ زَاذَانَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ ، قَالَ : فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَلَسْنَا مَعَهُ ... فَذَكَرَ نَحْوَهُ ، وَقَالَ : ((فَيَنْتَزِعُهَا تَتَقَطَّعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ)) .

قَالَ الإمام أحمد : وَكَذَا قَالَ زَائِدَةُ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا زَائِدَةُ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ الأَعْمَشُ حَدَّثَنَا الْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو حَدَّثَنَا زَاذَانُ قَالَ قَالَ الْبَرَاءُ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَذَكَرَ مَعْنَاهُ إِلا أَنَّهُ قَالَ : ((وَتَمَثَّلَ لَهُ رَجُلٌ حَسَنُ الثِّيَابِ ، حَسَنُ الْوَجْهِ)) ، وَقَالَ فِي الْكَافِرِ ((وَتَمَثَّلَ لَهُ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ)) .

فهذه الأحاديث قد اتفقت معانيها ، وبلغ علم كثير منها إلى الرجال والنساء والولدان ، وليست هى مما يشكل فهمه على أحد من أهل الإسلام ، ممن صلحت سريـرته ، وقوى يقينه ، إلا على هذه الطائفة الحائدة عن محجّة السبيل ، والملحدة في آيات الله وأسمائه وصفاته . وكلها تدل على أن الله عزَّ وجلَّ على عرشه فـوق سمواته ، وعلمه محيط بجميع خلقه .

فلو كان الله تقدَّس وتعالى عـما يفترون ، فى كل مكانٍ كما يزعـمون ، فإلى من عُرج برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، والله تعالى عما يقولون علواً كبيراً معه فى كل مكانٍ ، ليس بينه وبينه ستر ولا حجاب ؟! ، وإلى من تعرج الملائكة بأرواح الموتى من المؤمنين والكافرين ، حَتَّى يُنْتَهَى بروح المؤمن الموقن إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، ومن أين يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ((اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى)) ، وكيـف يقول ((أَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ)) ، وهو معه فيها كما يزعمون ، لا يبين منه ، ولا يعلو عليه ؟! .

سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فإلى مـن الأيـدى تُمدُّ تضرعا ... وبـأى شىءٍ فى الدجى يُتَـهَجْدُ
ومـن الذى هو للقضاءِ مُنَـزَّلٌ ... وإليـه أعمالُ البـريَّة تـصعدُ
جلَّتَ صفاتُ الحقِّ عـن تأويلِهم ... وتقدَّسـتَ عمَّا يـقولُ المُلْـحِدُ

ولله در إمام السنة أبى سعيد الدارمى حيث يقول ((الرد على الجهمية))(ص 66) : ((وما يصنع بالتنزيل من هو بنفسه فى كل مكانٍ ؟! ، إنما يكون شبه مناولةٍ لا تنزيلاً من فوق السماء مع جبريل ، إذ يقول تعالى ((قل نزله روح القدس من ربك)) (النحل :102) ، والرب بزعمكم الكاذب فى البيت معه ،

وجبريل يأتيه من خارج . هذا واضح ، ولكنكم تغالطون . فمن لم يقصد بإيمانه وعبادته إلى الله الذى استوى على العرش فوق سمواته ، وبان من خلقه ، فإنما يعبد غير الله ، ولا يدرى أين الله)) اهـ .

ويقال لكل جهمي معطلٍ : وأما تفسيــرك لقول اللّه تعالى ((الرحمن على العرش استوى ((. أن معنى استوى : أنه استولى أى ملك وقهر . فهذه تأويلات فاسدة محتمله لمعانى هى أقبح الضلال . ولا يتأولها إلا الجهال . وهى من تحريف الكلم عن مواضعه . وقد أبطلها أئمة العلم سلفاً وخلفاً ، حتى انتهى الإمام المتفنن ابن القيم فى ((صواعقه المرسلة على الجهمية والمعطلة)) إلى اثنين وأربعين وجهاً فى إبطالها .

وها نحن نلخِّص مقاصده ، ونستلخص فرائده :

(الوجه الأول) أنَّ تـأويـل الاستواء بالاستيلاء والقهر تفسير بالرأى المجـرد . ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا صحابى ، وقد قال صلىَّ اللّه عليه وسلّم : ((من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ((.

(الوجه الثانى) أنَّه إحداث لقولٍ فى التفسير لا ينفك عن أحد أمرين : إما أن يكون خطأ ، أو تكون أقوال أئمة السلف خطأ . ولا يشكُّ عاقل أنه أولى بالخطأ من أقوال أئمة السلف .

(الوجه الثالث) أنَّه مأخوذ من شعر غير معروفٍ قائله . وهو قول القائل :

قد استوى بشرٌ على العراقِ من غير سيفٍ أو دم مهراقِ

(الوجه الرابع) أنَّ هذا البيت محرَّف . وإنما هو :

بشرٌ قد استولى على العراقِ

هكذا لو كـان معروفاً .

(الوجه الخامس) أنَّ هذا الشاهد حجَّة عليهم . إذ هو على الحقيقة : الاستواء ، فإن بشراً هذا كان أخا عبد الملك بن مروان . وقد ولاه أميراً على العراق فاستوى على سرير الملك كعادة الملوك والأمراء : بمعنى علا السرير مستوياً عليه . فأيـن معنى الاستيلاء والقهر هنا ؟!.

(الوجه السادس) أنَّه لو كان المعنى استيلاء القهر والملك ، لكان بــشر منازعاً لأخيه عبـد الملك ، الذى كان هو المستولى على العراق حقيقةً ، وإنما كان بشر نائباً عنه ووالياً من جهته ، فلم يبق إلا تفسير استوى هنا بمعنى الجلوس على سرير الإمارة .

(الوجه السابع) أنَّه لا يصلح تفسيرالاستواء فى كل موضع بالاستيلاء . فقوله جلَّ ذكره ((واستوت على الجودى ((وقـوله)) واستوى على سوقه ((وقـوله ((لتستووا على

ظهوره)) ؛ تفسير الاستواء فيها الاستقرار والثبات ، فلا يصلح أن يقال : استولت على الجودى ، ولا يقال : فاستولى على سوقه ، ولا يقال : لتستولوا على ظهوره .
وقوله استوى بشرٌ على العراق بهذه السبيل ، فإنَّه يدل على الاستقرار والتمكُّن بدلالة التضمن ، وعلى الاستيلاء بدلالة اللزوم .
(الوجه الثامن) أنَّه لم يُنـقل عن الصحابة ، وهم فرسان اللغة والفصاحة : أنَّهم قالوا : اسـتوى أبو بكر على الشام ، ولا استوى عمر على مصر والعراق . مع أنهما قد فتحا هذه البلاد واستوليا عليها . بل ولا قـال أحدٌ قط : استوى رسول اللّه على اليمن ؛ مع أنَّه فتـحها وتمكن منها .
(الوجه التاسع) أنَّ حذف المضاف أقرب إلى لغة العرب من حمل اللفظ على معنىً لم يُعهد استعماله فيه . وعليه فإن حمل لفظة استوى على استولى حمل على معنىً غير معهود . بينما حملها على حذف المضاف بتقدير : استوى على سرير العراق ، حمل على معهودٍ ألفته العرب من كلامها . فإنَّهم يذكرون المضاف إيضاحاً وبياناً . ويحذفونه إيجازاً واختصاراً .
(الوجه العاشر) أنَّه لو كان الاستواء بمعنى الملك والقهر ، لجاز أن يقال : الرحمن استوى على خلقه ، وعلى الشمس والقمر والنجوم والدَّواب والشجر .
وهذا لا يجـوز إطلاقه فى حقِّ اللّه جلَّ وعزَّ . فإن قيل : هو جائز . وإنما خص العرش بالذكر لإنَّه أعظم المخلوقات . قلنا : إن هذا التخصيص لا يمنع مما كان جائزاً كما لا يمنع قوله)) رب العرش العظيم)) من قوله ((رب كل شيءٍ)) . فلما لم يقع هذا الجائز دلَّ على بطلانه .
(الوجه الحادى عشر) أنَّه قد ذكر الاستواء فى سبع آياتٍ من القرآن ، وحمله جمهور الأمة إلا الجهمية على حقيقته لاطراد استعماله فى موارده على المعنى المألوف لديهم . فلو جاز أنّه لا يريد هذا المعنى . فلم لم يذكره فى موضعٍ واحدٍ باللفظ الذى يفيد المعنى المجازى ؟! .
(الوجه الثانى عشر) أنَّ حمل اللفظ على المعنى المجازى يفتقر إلى قرينـةٍ دالةٍ عليه ، وليس فى القرآن والسنة موضع اقتران الاستواء بقرينةٍ دالةٍ على مجازه . فوجب حمله على حقيقته لانتفاء القرينة .
(الوجه الثالث عشر) أنَّ حمل اللفظ على مفهومه هو المقصود بالذات ، فإن انتفى لم يبق فى ذكر اللفظ فائدة ، ولا ريب أن هذا لا يجوز نسبته إلى الله جلَّ ذكره .

(الوجه الرابع عشر) أنَّ نقل الأمة لمعنى الاستواء فى الآية كنقل لفظه . وقد علم كل من يحفظ القرآن ويتلوه أنَّ المعنى عندهم كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم غير مجهول . فإخراج الاستواء عن معناه المعلوم كإنكار ورود لفظه ، بل أبـلغ .

(الوجه الخامس عشر) أنَّه إذا فُسِّر الاستواء بالغلبة والقهر ، عاد معنى الآية إلى أنَّ اللّٰه بعد خلقه العرش غلبه وقهره ، واستولى عليه ، فكأنَّه قد خرج من قبضته . وهذا تأويل باطل تنفر منه العـقول .

(الوجه السادس عشر) أنَّ هذا التأويل متلقى عن الجهمية . وقد عُلم أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويضعونه على أهوائهم . كما قال الإمام أبو الحسن الأشعرى عن ((تفسير الجُبَّائى)) : كأن القرآن نزل بلغة جُبَّاء . وذلك لكثرة تأويـلاته الفاسدة .

(الوجه السابع عشر) أن هذا التأويل على خلاف دلالة القرآن والسنة وإجـماع الأمَّة . قال يزيد بن هارون : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر فى قلوب العامة فهو جهمى خبيث .

(الوجه الثامن عشر) أنَّ الاستواء قد ذُكر فى موارده محتفاً بقرائن تفيد القطع بإرادة معناه المعهود . ففى قوله تعالى ((الـذى خـلق السموات والأرض فى ستة أيام ثمَّ استوى على العرش يدبر الأمر ((، ذُكر الاستواء بلفظ الفعل المُعَدَّى بعلى ، ومعطوفاً على خلق السموات والأرض ، ومتبوعاً بتدبير أمر المملكة . فهذه قرائـن دالة على حقيقة الملك . فمن أنكر العرش واستواءه عليه ، فقد قدح فى ملكه .

(الوجه التاسع عشر) أنَّ لفظ الاستواء قد اطَّرد فى القرآن والسنة على معناه الحقيقى . فادعاء صرفه عن هذا المعنى إلى آخر غير معهود الاستعمال فيهما فى غاية الفساد والبطلان .

(الوجه العشرون) أنَّ العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء البتة ، ووردوه فى هذا الشعر المختلق إنـشاء من المتكلم بهذا المعنى . فلا يجـوز أن يُحمل عليه كلام اللّٰه ، وكلام رسوله .

(الوجه الحادى والعشرون) أنَّ الاستواء قد اقترن بلفظة : ((ثم)) التى تفيد الترتيب والمهلة ، فلو كان معناه الاستيلاء عليه لكان هذا الاستيلاء متأخراً على خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . فقد أخرج مسلم فى ((صحيحه)) قال : حدثني أحمد بن عمرو بن عبد الله بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن

عبد الله بن عمرو ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء)) ؟! .

(الوجه الثانى والعشرون) أنَّ الاستواء فى اللغة التى خوطبنا بها على نوعين :

(أولها) مطلق وهو ما يوصل معناه بحرف : نحو قوله)) ولما بـلغ أشـدَّه واستوى ((وهذا بمعنى كمل وتمَّ .

(ثانيها) مقيد وهو على ثلاثة أضرب : أحدها مقيد بإلى : نحو قوله)) ثم استوى إلى السماء ((. وهذا بمعنى العلو والإرتفاع بإجماع السلف .

والثانى مقيد بعلى : نحو قوله ((لتستـووا علي ظهوره ((، وقـوله)) استوت على الجودى ((، وهذا أيضاً بمعنى العلو والإرتفاع والإعتدال بإجماع أهل اللغة .

والثالث المقيد بالواو : نحو استوى الماء والخشبة بمعنى : ساواها .

فهذه معانى الاستواء المعقولة . ليس فيها معنى الاستيلاء البتة !! .

(الوجه الثالث والعشرون) إذ قد تبين أنَّ حقيقة الاستواء هو العلو والإرتفاع ، فـمع اتفـاق العـقلاء على أنَّه لا يجـوز أن يتكلـم اللَّـه جـلّ ذكـره بشىءٍمع إرادة خلافه ، فدعوى إرادة المجاز وهو الاستيلاء والقهر دعوى باطلة ممتنعة ! .

(الوجه الرابع والعشرون) أنَّ أهل اللغة لمَّا سمعوا هذا التأويل الفاسد أنـكروه غاية الإنكار . فقد قال الإمام ابن الأعرابى (وهو من أكابر أئمة اللغة) ، وقد سئل : هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى ؟ ، فقال : لا تعرف العرب ذلك !!

(الوجه الخامس والعشرون) أنَّ الإجماع منعقد على أنَّه سبحانه استوى على عرشه حقيقةً لا مجــازاً . وقد ذكر الإمام أبو عمر الطلمنكى أحد أئـمة فقهاء المالكية فى كتـابه ((الوصول إلى معرفة الأصول)) قال : أجمع أهل الســنة على أنَّ اللَّه تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز .

(الوجه السادس والعشرون) أنَّ الإمام أبا الحسن الأشـعرى حكى فى كتابه ((الإبانة عن أصول الديانة)) إجماع أهل السنة على بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء ، فقال :)) لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء لكان مستوياً على الأرض والحشوش والأنتان والأقذار ، لأنَّه قادر عليها . ولم نجد أحداً

من المسلمين يقول ذلك . فوجب أن يكون على معنىً يختص بالعرش دون سائر هذه الأشياء ((اهـ .

(الوجه السابع والعشرون) أنَّ الإمام أبا سليمان الخطَّابى ، وهو أحد كبار فقهاء الشافعية قال فى كتابه ((شعار الدين)) : ((لو كان الاستواء ها هنا بمعنى الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة ، لأنَّ اللّه تعالى قد أحاطت قدرته بكل شىءٍ ، وكل قطر ، وكل بقعة . فما معنى تخصيص العرش بالذكر ؟! .

ثم إنَّ الاستيلاء إنَّما يتحقق معناه عند المنع من الشىء ، فإذا وقع الظفر به قيل : استولى عليه . فأىُّ منع كان هناك حتى يوصف بالاستيلاء بعده ؟! ((اهـ .

(الوجه الثامن والعشرون) أنَّ الإمام أبا سعيد عثمان بن سعيد الدَّارمى فى كتابه ((الرد على الجهمية)) قال :)) وأقرَّت هذه العصابة بهذه الآيات الواردة فى الاستواء على العرش ، وادَّعت الإيمان بها ، ثم نقضوا دعواهم ، فقالوا : اللّه فى كل مكان . لا يخلوا منه مكان . قلنا : قد نقضتم دعواكم بالإيمان باستواء الرب على عرشه ، إذ ادَّعيتم أنَّه فى كل مكان . فقالوا : تفسيره عندنا أنَّه استولى عليه . قلنا : فهل من مكان لم يستولى عليه ، ولم يعلُه حتى خصَّ العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه ؟! . فأى معنىً لخصوص العرش . هذا محال من الحجج وباطل من الكلام . لا تشكُّون أنتم إن شاء الله فى بطلانه واستحالته ، غير أنكم تغالطون به الناس)) اهـ .

(الوجه التاسع والعشرون) أن الإمام أبا عمر بن عبد البر القرطبى فى كتابه ((التمهيد)) عند شرح حديث ((ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ((. قال :)) وفيه دليل عى أنَّ اللّه تعالى فى السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة . وقال : وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة فى الكتاب والسنة والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيِّفون شيئاً من ذلك ، ولا يحدون فيه صفة مخصوصة . وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج ، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة ، ويزعمون أنَّ من أقرَّ بها مشبه . وهم عند أهل السنة نافون للمعبود الحق ((اهـ .

(الوجه الثلاثون) أنَّ أعلم الخلق باللّه جلَّ وعلا قد أطلق أنَّه فوق عرشه . وهذا منه تفسير لمعنى استوى ، وهو مقدَّم على ما عداه من قول الجهمية الذين يجعلون معنى ((فوق العرش)) أنه خير من العرش وأفضل منه . فيا للعقول !! أين فى لغة العرب هذا المعنى فى حق الله جلَّ وعلا ؟ .

هذا من لغة الأعاجم ، لا من لغة العرب الَّذين بعث فيهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

(الوجه الحادى والثلاثون) أنَّ تفضيل الرب تعالى نفسه على شىءٍ من خلقه لا يُذكر إبتداءاً ، ولاهو ممَّا يقصد بالأخبار . وإنما يُذكر رداً على مـن اتخذ ذلك الشىء نداً للَّه تعالى : كـقوله ((آلله خيرأم ما تشركون ((وقوله)) يا صاحبى السجن أأربابٌ متفرقون خير أم الله الواحد القهار ((وقوله)) أفمن يخلق كمن لا يخلق ((. وأما قول القائل ابتداءاً : الله خير من السماء وأفضل منها ، والله خيرٌ من العرش وأفضل منه . فذلك من أسمج الكلام وأهجنه . وقد قيل :

ألم تر أنَّ السيف ينـقص قـدره إذا قيل إنَّ السيفَ أمضى من العصا

(الوجه الثانى والثلاثون) أنَّ التفضيل إذا كان هكذا فى حق المخلوق كان قبيحاً مستهجناً ، فلو قال : السماء أكبر من الرغيف وأعلى من سقف الدار ، أكان يكون هذا مدحاً ؟! . هذا من سخائف ومساخط الكلام . فكيف إذا قيل مثـله فى حق اللَّه تقدس وتعالى ؟! .

(الوجه الثالث والثلاثون) أنَّ الاستواء قد اطَّرد وروده فى موارده على إسلوبٍ واحدٍ . فلا يحتمل إلامعنىً واحداً فضلاً عن ثلاثة أو خمسة عشر التى ادَّعاها صاحب ((القواصم والعواصم)) . ويقال له : دعواك احتمال لفظ استوى لخمسة عشر معنىً دعوى مجردة ، ليسـت معلومة بنصٍ ولا إجماع ولا ضرورة لغوية . وكان ينبغى عليك أن تبين كل احتمال ، وتذكر الدليل على ثبوتــه ثم تطالب حزب اللَّه ورسوله بتعيين أحدها . وإلا فهم يقولــون : لا نسلم احتماله إلا لمعنى واحد ، هو الذى أجمعت عليه الأمة .

(الوجه الرابع والثلاثون) أنَّ إدعـاء خمسة عشـر معنىً لما ليس له إلا معنىً واحداً . وهـو لفظ ((استوى)) ليس من التحقيق . بل هو من الترويج والتزويق . وإلا فليذكر مدعى ذلك إلى أى نوعٍ تتطرق هذه الإحتمالات : إلى اللفظ المطلق أم إلـى اللَّفـظ المقيـد أم إلى واحـدٍ من الأضـرب الثلاثة للمقيـد ، أم كـل واحدٍ واحدٍ مـن ذلك كلـه ؟! .

فإذا كانت الدعوى بهتاً صريحاً . فأى شىءٍ ينفعك فى هذا الموضع المعين ؟ . فسبحان اللَّه ! أين دعواك هذه من القول السديد الذى أوصانا به اللَّه جلَّ ذكره حيـث يقول ((يا أيها الَّذين آمنوا اتقوا اللَّه وقولوا قولاً سديداً ((؟! .

(الوجه الخامس والثلاثون) أنَّنا نمنع الاحتمال فى لفظ الاستواء مع تنوع صلاته المقرون بـها . فهو مما لا يقال له

مشترك ولا مجاز . بل حقيقـة واحـدة تنوعـت دلالتها بتنوع صلاتها المقرون بها . فهو بمعنى الاعتدال حيث استعمل مجرداً أو مقروناً . تقول : سوَّيته فاستوى تعنى عدلته فاعتدل . وتقول : استوى على ظهر الدابة تعنى اعتدل عليها . ويتضمن المقرون مع ذلك معنى العلو والارتفاع . وهذا كله حقيقة واحدة تتنوع بتنوع قيودها . فيكون لها مع كل قيد دلالة خاصة ، والحقيقة واحدة باقية على أصل دلالتها . هذا هو التحقيق لا الخداع والتزويق .

(الوجه السادس والثلاثون) أنَّ هذه الاحتمالات التى ادَّعيت تطرق اللفظ إليها اتفق جمهور الأئمة قبلك على إستحالة ورودها على لفظ الاستواء . فقد سئل مالك وسفيان بن عيينة وربيعة ابن أبى عبد الرحمن عن الاستواء ، فقالوا : الاستواء معلوم . فلم يذكروا ما ادَّعيته !! .

(الوجه السابع والثلاثون) أنَّ اللّه سبحانه ذم المحرفين للكلم . وهم نوعان : أصحاب تحريف الألفاظ . وأصحاب تحريف المعنى . فالصنف الأول الرافضة : فإنهم حرَّفوا كثيراً من ألفاظ الشريعة ، وادَّعوا أنَّ أهل السنه غيَّروها عن أصلها . والصنف الثانى الجهمية : فإنهم سطوا على المعانى وصالوا وتوسـعوا وسموه تأويلاً . ليعدلوا بالمعنى عن وجهه وحقيقته .

(الوجه الثامن والثلاثون) أنَّ الغاية التى راموا الوصول إليها بهذا التحريف المسمى تأويلاً هو إثبات أن ليس فوق السموات رب ، ولا على العرش إلا العدم . وليس هناك من تُرفع إليه الأيدى ويصعد إليه الكلم الطيب ، وتنزل الملائكة من عنـده وتعرج إليه ، ولا عرج بالرسول إليه ، ولا رُفع المسيح إليه حقيقـةً ، ولا له حجاب يحتجب به عن خلقه . ومعلوم أنَّ ذلك كله كفر صراح مناقض لما جاءت به الرسل كلها عن ربها !!

(الوجه التاسع والثلاثون) أنَّ الآثار المحفوظة عن الصحابة والتابعين كلها متفقة على أنَّ العرش حقيقة ، وأنَّ اللّه فوق عرشه حقيقة لا مجازاً . وقد صرَّح بهذا جمهور أئمة السنة اتباعاً لهذه الآثار ، وتصديقاً بهذه الأخبار .

(الوجه الأربـعون) أنَّ الإمام أبا بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة فى كتابه ((التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجلَّ)) قال :)) وقال جلّ وعلا)) سبح اسم ربك الأعلى)) . فالأعلى مفهوم فى اللّغه أنّه أعلا كل شىء ، وفوق كل شىءٍ . وقد وصف نفسه فى غير موضع من تنزيله وأعلمنا أنّه العلى العظيم . أفليس العلى ما يكون عاليا . لا كما تزعم المعطله الجهميه أنّه أعلا وأسفل ووسط ، ومع كل شىءٍ ، وفى كل موضعٍ من أرضٍ وسماءٍ ، وفى أجواف جميع الحيوان . ولو

تدبروا الآية لعقلوا أنهم جهَّال لا يفهمون ما يقولون . وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم . قال اللَّه تعالى لمَّا سأله كليمه موسى عليه السلام أن يريه ينظر إليه ((لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل ((إلى قوله ((فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً)) . أفليس العلم محيـطاً أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لو كان متجلّياً لجميع أرضه : سهلها ووعرها ، وجبالها وبراريها ومفاوزها ، وعماراتها وخرابها ؛ لجعلها دكاً كما جعل الجبل دكاً !! ((اهـ .

ويقال لكل جهميٍّ معطل : قد أفضينا إليك بنقض مذهبك . وأفسدنا عليك تأويلك من أربعين وجهاً . ولو أردت منا مزيداً زدناك . مع إقبالنا عليك بالشفقة والرحمة والموعظة الحسنة . نرجو بها إقلاعك عن التمادى فى الضلال والإغواء . والإصرار على ركوب المتون العوجاء . فإن يكن التوفيق حليفك ، فقد كفانا وأغنانا عن إقناعك بالكلام .)) فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ((.

فصل : فى بيان أن الإقرار بأن الله جلَّ وعلا فى السماء من الإيمان

فصل : في بيان أنَّ الإقرار بأنَّ الله جلَّ وعلا فى السماء من الإيمان

لقد علمتم ـ رحمنا اللَّه وإيَّاكم ـ أنَّ الذى يذهب إليه أهل العلم بالله وأسمائه وأفعاله وصفاته : هو الإيمان بأنَّ الله جلَّ وعلا فوق سمواته على عرشه العظيم ((الرحمنُ عَلى العرشِ استَوى))(طه 5) ، وأنَّه قد أحاط علمه بجميع ما خلقه فى السموات السبع ، وبجميع ما فى الأرضين السبع وما تحت الثرى ((وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى))(طَّه 7) ، ولاتخفى عليه حركاتهم ولاسكناتهم ، ولا ما توسوس به نفوسهم ((لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ((سبأ 3) ، وهو على عرشه تُرفع إليه أعمال عباده ((إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ((فاطر 10) ، وتعرج إليه ملائكته وأرواح من شاء من خلقه ((تعرج الملائكة والروح إليه فى يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنه ((المعارج 4) ، وقد عرج بعبده ورسوله وخليله محمَّد رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فقرَّبه وأدناه ، وكلَّمه وناجاه ، وفرض عليه وعلى أمته أحب

العبادات إليه وهى الصلاة)) ثمَّ دنا فتدلى * فكان قاب أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما زاد البصر وما طغى ((النجم 11:8) ، ورفع رسوله عيسى بن مريم إليه ، وأنجاه من كيد الكائدين الذين أرادوا قتله)) وما قتلوه يقيناً * بل رفعه اللَّه إليه ((النِّساء 158) .

ولقد علمتم ـ عافانا اللَّه وإياكم ـ أنَّ الجهمية بقبيح مذاهبهم قد فارقوا سواء السبيل ، وحادوا بما يداخل قلوبهم من التلبيس عن واضح الدليل .

وقد ذكروا يوماً عند يزيد بن هارون الواسطى فقال : ((هم واللَّه الَّذى لا إله إلا هو زنادقة عليهم لعنة اللَّه ((. فقد أخرجهم سوء مذهبهم إلى الكلام فى اللَّه عزَّ وجلَّ بما تنكره العلماء والعقلاء . كما قال الإمام عبد اللَّه بن المبارك : ((إنَّا لنستطيع أن نحكى كلام اليهود والنَّصارى ، ولا نستطيع أن كلام الجهمية ((.

وللَّه درُّ الإمام يحيى بن يوسف الصرصرى . فقد قال فى قصيدته الرَّائيَّة :

ونؤمن أنَّ العرشَ من فوقِ سبعةٍ تطوفُ به أملاكُهُ وتَدورُ
قضى خلقَه ثم استوى فوقَ عرشِه تقدَّس كرسىُّ له وسريرُ
هو اللَّه فى السماءِ محجبٌ وليسَ كمخلوقٍ حوتُه قصورُ
إليه تعالى طيِّبُ القولِ صاعدٌ وينزلُ منه بالقضاءِ أمورُ
لقد صحَّ إسلامُ الجويرية التى بأصبعِها نحوَ السماءِ تشيرُ

وللَّه درُّه . حيث يقول فى قصيدته الداليه :

والجاحدُ الجهميُّ أسوءُ منهُما حالاً وأخبثُ فى القياسِ وأفسدُ
أمسى لربِّ العرشِ قال مُنَزِّهاً مِنْ أنْ يكونَ عليه ربٌّ يعبدُ
وإذا ذكرتَ له على العرشِ استوى قالَ هو استولى يحيلُ ويخلدُ
فإلى من الأيدى تُمدُّ تضرعا وبأى شىءٍ فى الدجى يُتَهَجْدُ
ومن الذى هو للقضاءِ مُنَزَّلٌ وإليه أعمالُ البريَّة تصعدُ
جلَّتَ صفاتُ الحقِّ عن تأويلِهم وتقدَّستَ عمَّا يقولُ المُلْحِدُ

وللَّه دَرُّه . حيث يقول فى قصيدته العينية :

تواضع لربِّ العرشِ علكَ ترفعُ فقد فازَ عبدٌ للمهيمنِ يخضعُ
سميع بصير مَالَه فى صفاتِه شبيهٌ يَرى من فوق سبعٍ ويسمعُ
قضى خلقَه ثم اسْتَوى فوق عرشِه ومن علمه لم يخل فى الأرضِ موضعُ

لقد كان رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم يُعْلِمُ النَّاس أنَّ ربهم المعبود فى السماء ، ويتلو آيات الصفات عليهم ويجهر بها فى المجامع والمحافل . ومن أبعد المحال أن يتلو عليهم تلك الآيات ، وينهاهم عن تدبر معانيها ، والإيمان بمضمونها ، واعتقاد خلافها . كيف وهو الذى نزل على قلبه الشريف ((أفلا يتدبَّرون القرآن ((وقوله)) ولقد يسَّرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكر ((.

ومن أدلِّ الدلائل على قبول إيمان من قال ((اللَّه فى السماء ((، وإطلاق لفظ المؤمن عليه ، واستحقاقه لهذا الاسم ، ما أخرجه الإمام أحمد (5/448) قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ حَجَّاجٍ الصَّوَّافِ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي هِلالُ بْنُ أَبِي مَيْمُونَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ .... فذكر الحديث إلى أنْ قَالَ : وَبَيْنَمَا جَارِيَةٌ لِي تَرْعَى غُنَيْمَاتٍ لِي فِي قِبَلِ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ ، فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهَا اطِّلاعَةً ، فَإِذَا الذِّئْبُ قَدْ ذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ يَأْسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً ، قَالَ : فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قُلْتُ : أَلا أُعْتِقُهَا ؟ ، قَالَ : ((ائْتِنِي بِهَا ((، قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا ، فَجَاءَ بِهَا ، فَقَالَ : ((أَيْنَ اللَّهُ ؟)) ، قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ :)) فَمَنْ أَنَا ؟((، قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ :))أَعْتِقْهَا ، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ((.

وأخرجه أبو بكر بن أبى شيبة ((كتاب الإيمان))(84) ، والطيالسى (1105) ، وأحمد (5/447،448) ، والدارمى (1503) ، ومسلم (5/20. نووى) ، وأبو داود (930) ، وابن أبى عاصم ((كتاب السنة))(489،490) ، والدارمى أبو سعيد ((الرد على الجهمية))(11،12 . بترقيمى) ، وابن الجارود (212) ، وابن خزيمة ((كتاب التوحيد))(ص 81،82) ، والبيهقى ((الأسماء والصفات))(422) جميعاً عن يحيى بن أبى كثير حدَّثنى هلال ابن أبى ميمونة عن عطاء بن يسار حدثنى معاوية بن الحكم السلمى به .

قال الإمام أبو سعيد الدارمى فى ((الرد على الجهمية)) :)) ففى حديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هذا دليل على أن الرجل إذا لم يعلم أن اللَّه عزَّ وجلَّ فى السماء دون الأرض فليس بمؤمن ، ولو كان عبداً فأعتق لم يجز فى رقبةٍ مؤمنةٍ ، إذ لا يعلم أن اللَّه فى السماء . ألا ترى أن رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم جعل أمارة إيمان الجارية معرفتها أن اللَّه فى السماء ؟! .

وفى قوله صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ((أين اللَّه ؟)) تكذيب لقول من قال : هو فى كل مكان ، لا يوصف بأين ، لأن الأشـياء لا تخلو منه ، ويستحيل أن يقال : أين هو ؟ ، إذ لا يقال أين ؟ إلا لمن هو فى مكان ، ويخلو منه مكان ؟! .

ولو كان الأمر على ما يدَّعى هؤلاء الزائغة ، لأنكر عليها رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم قولها وعلَّمها ، ولكنَّها علمت به ، فصدَّقها رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ، وشهد لها بالإيمان بذلك ، ولو كان فى الأرض كما هو فى السماء ؛ لم يتم إيمانها حتى تعرفه فى الأرض ؛ كما عرفته فى السماء !! .

فاللَّه تبارك وتعالى فوق عرشه فوق سمواته ، بائـنٌ من خلقه . فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذى يعبد . وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحـد ، لا يبـعد عنه شىء ، ولا يــعزب عنه مثـقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض . سبـحان اللَّه عمَّا يصفه المعطِّلون علوَّاً كبيراً ((اهـ .

فيا أيها المخاطب بهذا التقرير البديع المثـال . ألم تر كيف كان رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم يمتحن إيمان الناس بسؤالهم ((أين اللَّه ؟ ((، فمن أجابه منهم بقوله ((اللَّه فى السماء)) جزم بإيمانه وسمَّاه مؤمناً ، وقضى له بما للمؤمن من حقوق .

فأسعد بهذه المعرفة . وخالف ما عليه دين الجهمية .

فصـل : فى بيان ثمرة الإيمان بأن الله جلَّ وعلا

فوق سمواته مستوٍ على عرشه

فصل : فى بيان ثمرة الإيمان بأن اللَّه جلَّ وعلا فوق سمواته مستوٍ على عرشه

قال الإمام أبو محمد الجوينى فى رسالة ((الإستواء والفوقية)) :

((العبد إذا أيقن أنَّ اللَّه تعالى فوق السماء . عالٍ على عرشه بلا حصر ولا كيفية ، وأنَّه الآن فى صفاته كما كانَ فى قدمه ؛ صار لقلبه قبلةٌ فى صلاته وتوجهه ودعائه . ومن لا يعرف ربه بأنَّه فوق سمواته على عرشه فإنَّه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده . لكن لو عرف أنَّ إلهه الذى يعبده فوق الأشياء ، فإذا دخل فى الصلاة وكبَّر ؛ توجه قلبه إلى جهة العرش ، منزِّهاً ربَّه تعالى عن الحصر ، مفردا له ، كما أفرده فى قدمه وأزليَّته ، عالماً أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ، ولا يمكننا الإشارة إلى ربنا فى قدمه وأزليَّته إلا بها ، لأنَا محدثون ، والمحدث لابد له فى إشارته إلى جهة ، فتقع تلك الأشياء إلى ربه ، كما يليق بعظمته ، لا كما يتوهم هو من نفسه ، ويعتقد أنه فى علوه قريب من خلقه ، هو معهم بعلمه وسمعه وبصره ، وإحاطته وقدرته ومشيئته ، وذاته فوق الأشياء : فوق العرش . ومتى شعر قلبه بذلك فى الصلاة أشرق قلبه ، واستنار وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان ، وعكسته أشعة العظمة على عقله وروحه ونفسه ، فانشرح لذلك صدره ، وقوى إيمانه ، ونزَّه ربَّه عن صفات الخلق من الحصر والحلول ، وذاق حينئذٍ شيئاً من أذواق السابقين المقربين ؛ بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده ، فتكون الجارية راعية الغنم

أعلم باللَّه منه ، فإنها قالت)) الله فى السماء ((، عرفته بأنَّه فى السماء . فمن تكون الراعية أعلم باللَّه منه ، لكونه لا يعرف وجهة معبوده ، فإنَّه لا يزال مظلم القلب لا يستنير بأنوار المعرفة والإيمان .

ومن أنـكر هذا القول فليؤمن به ، وليجرب ، ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه بقلبه ، مبصراً من وجهٍ . أعمى من وجه . مبصراً من جهة الإثبات والوجود والتحقيق . أعمى من جهة التحديد والحصر والتكييف ، فإنه إذا عمل ذلك وجد ثمرته إن شاء اللَّه تعالى ، ووجد نوره وبركته ، عاجلاً وآجلاً .)) ولا ينبئـك مثل خبير ((. واللَّه سبحانه الموفق والمعين ((.

وقال الإمام ناصر الكتاب والسنَّة شمس الدين بن القيم فى ((صواعقه المرسلة على الجهمية والمعطلة)) :

)) فهذا المثـل الأعلى هو الذى آمن به المؤمنون ، وأنس به العارفون ، وقامت شواهده فى قلوبـهم بالتعريفات الفطرية المكمَّلة بالكتب الإلهية المضبوطة بالبراهين العقلية . فاتفق على الشهادة بثبوته : العقل ، والسمع ، والفطرة .

فإذا قال المثبت : ياالله ،قام بقلبه ربّ قيوم قائم بنفسه ، مستوٍ على عرشه ، مكلِّم متكلم ، سامع ، قدير ، مريد ، فعَّال لما يريد ، يسمع دعاء الداعين ، وتغضبه المعاصى ، تعرج الملائكة بالأمر إليه ، وتنزل بالأمر من عنده . وقد أخبر النَّبى صلَّى اللَّه عليه وسلَّم)) أن السموات السبع فى الكرسى كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، والكرسى فى العرش كحلقةٍ فى أرض فلاةٍ ، والعرش لا يقدِّر قدره إلا اللَّه ((. وهو سبحانه فوق عرشه ، يعلم ويرى ما عباده عليه .

فهذا هو الذى قام بقلوب المؤمنين المصدِّقين العارفين به سبحانه المثل الأعلى ، فعرفوه به وعبدوه به ، وسألوه به ، فأحبوه وخافوه ورجوه ، وتوكلوا عليه وأنابوا إليه ، واطمأنوا بذكره ، وأنسوا بحبه بواسطة هذا التعريف ، وسائر ما وصف به نفسه من صفات كماله ، إذ قد أحاط علمهم بأنَّه لا نظير لذلك ولا مثيل له ، ولم يخطر بقلوبهم مماثلة شىءٍ من المخلوقين .

وقد أعلمهم اللَّه سبحانه على لسان رسوله ((أنَّه يقبض سمواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزهن)) و)) وأنَّ السموات السبع والأرضين السبع فى كفَّة كخردلة فى كف أحدكم ((و ((أنَّه يضع السموات على إصبع . والأرضين على إصبع . والجبال على إصبع . والشجر على إصبع . وسائر المخلوقات على إصبع ((. فأى يدٍ للخلق ، وأى إصبع تشبه هذه اليد ، وهذه الإصبع حتى يكون إثباتها تشبيهاً وتمثيلاً ؟! .

فقاتل اللَّه أصحاب التحريف والتبديل . ماذا حرموه من الحقائق الإيمانية والمعارف الإلهـية . وماذا تعوضوا به من زبالة الأذهان ونخالة الأفكار ؟! . وقد جرت عادة اللَّه سبحانه أن يذل من آثر الأدنى على الأعلى ، ويجعله عبره للعقلاء . فأول هذا الصنف إبليس لعنه اللَّه . ترك السجود لآدم كبراً ، فابتلاه اللَّه تعالى بالقياده لفسَّاق ذريته . وعبَّاد الأصنام لم يقرُّوا بنبيٍّ من البشر ، ورضوا بألهةٍ من الحجر . والجهمية نزَّهوا اللَّه عن عرشه لئلا يحويه مكان ، ثم قالوا : هو فى الآبار ، والأنجاس ، وفى كل مكان . وهكذا طوائف الباطل . لم يرضوا بنصوص الوحى فابتـلوا بزبالة أذهان المتحيرين ((.

فيا أيها المتأمل لما فى كلام هذين الإمامين من لطائف التنبيه ، وحقائق المعرفة بالله وأسمائه وصفاته ، وما ينبغى له من صفات الكمال والجلال ، وثمرة ذلك عاجلاً وآجلاً ، ليهنك هذا العلم ، ولتسعدك هذه المباينة لعقائد أهل التبديل والتحريف والتعطيل ، فإنك أعرف بالله منـهم ، وأهدى سبيلاً)) أفمن يمشى مُكِبَّـاً على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراطٍ مستقيم ((((قل هو الرحمن آمنَّا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلالٍ مبينٍ)) .

فصل : فى بيان أن من الإيمان التصديق بأن الله عزَّ وجلَّ ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا

فصل : فى بيان أن من الإيمان التصديق بأن الله عزَّ وجلَّ ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة

لقد علمتم ـ رحمنا اللَّه وإيَّاكم ـ : أن من الإيمان الإقرار بأن اللّه تعالى فى السماء مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه ، وأن المؤمنين المصدِّقين العارفين به سبحانه قد أنَـسوا بهذه المعرفة ، واطمأنت بها قلوبهم ؛ إذ قد أثبتوا لمعبودهم ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ، مع نفيـهم عنه سبحانه مماثلة شيءٍ من مخلوقاتـه .

وقد تواترت الأخبار عن رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم أنَّ اللّه عزَّ وجلَّ ينزل كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا ، وأهل العلم باللّه وأسمائه وصفاته يؤمنون بذلك بلا تكييفٍ ولا توهمٍ ، ويروون الأحاديث الصحيحة الناطقة بهذا البيان ، ويقولون : ليس لأحد تحريفها ولا تبديلها ، ولا النظر فى شيءٍ خالفها . فمن اهتدى بها فهو المهتدى ، ومن تركها اتبع غير سبيل

المؤمنين ، وولاه اللَّه تقدَّس وتعالى ما تولَّى ، وأصلاه جهنَّم وساءت مصيراً .

وللَّه دَرُّ الإمام الصرصرى ، فقد قال فى اللاميَّة التى يهجوا فيها جهم :

وزعمت أن الحنــبلى مجسِّمٌ حاشـا لمثل الحنــبـلى يمثِّـلُ
بل يــورد الأخبار إذ كانـت تصححها الرواة عن الثقات وتنقلُ
أن المهيـمن ليس تمضى ليلةٌ إلا وفى الأســحار فيـها يـنزلُ
قد قالها خير الورى فى صحبه لم ينــكروا هـذا ولم يتــأول
وتقبـلوها مع غـزارةِ علمهم أفأنت أم تــلك العصابـة أعـقلُ

وللَّه دَرُّ الإمام أبى بكر بن أبى داود السجستيانى . فقد قال :

تمسَّك بحبـل اللَّه واتبـع الهدى ولا تـكُ بـدعيـاً لـعلَّك تـفلحُ
ودن بكتـاب اللَّه والسنـن التى أتت عن رسـول اللَّه تنج وتربحُ
وقل ينزل الجبَّار فى كـل ليـلةٍ بـلا كيفٍ جـلَّ الواحد المتـمدَّحُ
إلى طبـق الدنيـا يمنُّ بفضلـه فـتفرج أبـواب السماء وتُـفتحُ
يقول ألا مستـغفرٌ يـلق غافراً ومُستَمنِحُ خيــراً ورزقاً فيُمنَحُ
روى ذاك قوم لا يــردُّ حديثهم ألا خـاب قومٌ كذبـوهم وقُبِّحوا

قال الإمام أبو سعيد الدارمى فى ((الرد على الجهمية)) :)) ومما يعتبر به من كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ فى النزول . ويحتج به على من أنكره . قول اللَّه تعالى ((هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللَّه فى ظللٍ من الغمام والملائكة ((. وقوله)) وجاء ربك والملك صفاً صفاً ((. وهذا يوم القيامة إذا نزل اللَّهُ ليحكم بين العباد . وهو قوله تعالى)) ويوم تشقق السماء بالغمام ونُزِّل الملائكة تنزيلاً * الملك يومئذٍ الحق للرحمن وكان يـوماً على الكافرين عسيراً)) . فالذى يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها . قادرٌ أن ينزل كل ليلة من سماءٍ إلى سماء . فإن ردُّوا قول رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم فى النزول . فماذا يصنعون بقول اللَّه عزَّ وجلَّ تبارك وتعالى ؟! ((اهـ .

قلت : إنَّ أهل التحريف والتعطيل من المعتزلة والجهمية قد أعدَّوا لكل فتنة تأويلاً ، ولكل منبوذٍ من الآراء تعليلاً ، ولكل ناقصٍ ضئيل الذكر تكميلاً ، ولكل كاملٍ رفيــع القدر تقليلاً .)) فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إنَّ اللَّه عليمٌ بما يصنعون ((.

فلو رأيت إرتكاسهم فى الغىِّ والضلال ، وجماحهم فى الإفراط ووجوه المحال ، فناداهم بعلو الصوت : هلك المتنطعون .. هلك المتنطعون .

ومما أعدوه لدفع هذا الدليل . من وجوه التحريف وصنوف التأويل : قولهم أنه لا ينزل بنفسه ، وإنما ينزل أمره ورحمته ، وأن حقيقة النزول منتفية عنه لأنَّه منزَّه عن الحوادث ، فتلاعبوا بالنصوص ، وعطَّلوا حقائقها بناءاً على هذا التأويل الذى لا يليق باللّه سبحانه .

وأعلم أيها المخاطب بهذا التقرير : أنَّه لا يستقر للعبد قدم فى الإسلام حتى يعلم أنَّ الحق دائر مع الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم إثباتاً ونفياً ، وأنَّ كلام غيره معروض على كلامه ؛ فما وافقه قبلناه ، وما خالفه رددناه ، ولا يعرض كلامه صلّى اللّه عليه وسلّم على آراء المبتدعة من المعتزلة والجهمية . وكيف يتوهم عاقل أن هؤلاء المتحيرين الَّذين كثر فى باب العلم باللّه اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة اللّه حجابهم ، والَّذين اعتمدوا على شبهات فاسدة أسموها بالمعقولات ، فحرَّفوا لها نصوص السمع بصنوف التأويلات . كيف يتوهم أنهم أعلم باللّه وصفاته ممن لا ينطق عن الهوى ؟! .

قال الإمام أبو سعيد الدارمى فى ((النقض على بشر المريسى)) :

((وادَّعى المعارض أن اللّه لا ينزل بنفسه ، وإنما ينزل أمره ورحمته ، وهو على العرش ، وبكل مكان ، من غير زوالٍ لأنه الحىُّ القيَّوم ، والقيَّوم بزعمه من لا يزول .

فيقال لهذا المعارض : هذا من حجج النِّساء والصبيان ، ومن ليس عنه بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأنَّ أمر اللّه ورحمته ينزل فى كل ساعةٍ ، ووقتٍ ، وأوان . فما بال النَّبى صلّى الله عليه وسلّم يُحدُّ لنزوله سبحانه الليل دون النَّهار ، ويوقِّت من الليل شطره أو الأسحار ؟! .

أبرحمته وأمره يدعوا العباد إلى الإستغفار ؟! ، أو بقْدرُ الأمر والرحمة أن يتكلَّما دونه ، فيقولان ((هل من داعٍ فأجيب . هل من سائل فأعطى)) ؟! . فإن قدرت مذهبك ؛ لزمك أن تدعو الرحمة والأمر الَّذين يدعوانك إلى الدعاء والإستغفار بكلامهما دون اللّه ، وهذا محال عند السفهاء ، فكيف عند الفقهاء ؟! ، قد علمتم ذلك ولكنَّكم تجهلون . وما بال أمره ورحمته ينزلان من عنده شطر اللَّيل ، ثم لا يمكثان إلى طلوع الفجر حتى يرفعان ؟! . قد علمتم أنَّ هذا التأويل باطل ، لا يقبله إلا كل جاهل ، ولكنَّكم تكابرون ((اهـ .

وقال الإمام شمس الدين بن القيم فى ((صواعقه المرسلة على الجهمية والمعطلة)) :

((إنَّ الأوهام الباطلة والعقول الفاسدة لما فهمت من نزول الرب ، ومجيئه ، وإتيانه ، وهبوطه ، ودنوه ما يُفهم من مجئ المخلوق ، وإتيانه ، ونزوله ، وهبوطه ، ودنوِّه : نفت حقيقة ذلك ، فوقعت فى محذورين : محذور التشبيه ، ومحذور التعطيل . ولو علمت هذه العقول الضعيفة أنَّ نزوله ومجيئه وإتيانه لا يشبه نزول المخلوقين وإتيانهم ومجيئهم . كما أنَّ سمعه وبصره وكلامه محياته كذلك . لما أقدمت على هذا البطلان . ولكنَّه الجهل والهزيان . والخذلان عن هداية الأديان !! .

وإذا كان نزوله ليس كمثله نزول . فكيف تنفى حقيقته ؟! . وإن لم تنف المعطلة حقيقة ذاته وصفاته وأفعاله بالكليَّة . وإلا تناقضوا . فإنَّهم أى معنى أثبتوه لـزمهم فى نـفيه ما ألزموا به أهل السنة المثبتين للّه ما أثبته لنفسه . ولا يجدون إلى الفرق سبيلاً ((اهـ .

ولإقامة الحجة على ذوى التأويلات الفاسدة تقرير آخر يزيدها بياناً ، وهو أن أخبـار نزول اللّه تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا ؛ قد رواها جمع من الصحابة يستحيل عادةً تواطؤهم على الكذب . وهذا يدل على أنه صلَّى اللّه عليه وسلَّم كان يبلغ فى كل موطن ومجمع . فكيف تكون حقيقته محالاً ، وهو يتكلَّم بها ويعيدها ويبديها مراراً ، ويأتى فى ذلك كله بما يـدل على إرادة الحقيقة : كقوله ((ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ((، وقوله)) فيقول : وعزَّتى وجلالى ((، وقوله ((لا أسأل عن عبادى غيرى ((، وقوله)) من ذا الَّذى يسألنى فأعطيه . من ذا الَّذى يستغفرنى فأغفر له ((، وقوله)) حتى يطلع الفجر ثم يعلو على كرسيه ((. فهذه خمسة أنواع من البيان اللفظى الَّذى يدل على إرادة الحقيقة . بل هو نص لا يحتمل غيرها مطلقاً .

قال الإمام ابن القيم فى ((صواعقه المرسلة على الجهمية والمعطلة)) :)) ومما يوضح لك ذلك : أن النزول والمجىء ، والإتيان والإستواء ، والصعود والإرتفاع كلها أفعال له ، وهو الفعَّال لما يريد ، وأفعاله كصفاته قائمة به ، ولولا ذلك لم يكن فعَّالاً ولا موصوفاً بصفات الكمال فإن كانت هذه الأفعال مجازاً ، فأفعاله كلها مجاز ، ولا فعل له فى الحقيقة ؛ بل هو بمنزلة الجمادات . وهذه صفات الرب الَّذى تعبده المعطلة . وبإثبات أفعاله وقيامها به تزول عنك جميع

الإشكالات ، وتصدِّق النصوص بعضها بعضاً ، وتعلم مطابقتها للعقل الصريح ((اهـ .

قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى ((كتاب الشريعة))(ص 254:255) :

((باب الإيمان والتصديق بأن الله عزَّ وجلَّ ينزل إلى سماء الدنيا كلَّ ليلة

الإيمان بهذا واجب ، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول : كيف ينزل ؟ ، ولا يردُّ هذا الإالمعتزلة . وأما أهل الحق فيقولون : الإيمان به واجب بلا كيف ، لأن الأخبار قد صحَّت عن رسـول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أن الله عزَّ وجلَّ ينزل إلى السماء الدنيا كلَّ ليلة ، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا هذه الأحكام من الحلال والحرام ، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وكما قبل العلماء منهم ذلك ن كذلك قبلوا منهم هذه السنن ، وقالوا : من ردَّها فهو ضال خبيث ، يحذرونه ويحذرون منه .

حدثـنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطى ثنا أبو معمر القطيعى[1] قال : ثنا عباد بن العوام[2] قال : قدم علينا شريك واسطاً ، فقلنا له : إنَّ عنـدنا قوماً ينكرون هذه الأحاديث

---

[1] أبو معمر القطيعى الهروى ، ثقة مأمون صاحب سنة ، احتج به البخارى ومسلم .

قال ابن أبى حاتم ((الجرح والتعديل))(2/157/257) :

((إسماعيل ابن إبراهيم ، أبو معمر الهروي القطيعي روى عن : شريك ، والدراوردي ، وهشيم . سمعت أبى وأبا زرعة يقولان : كتبنا عنه ، ورويا عنه . أخبرنا أبو الفضل الهروي نا محمد بن على المديني قال : ذكر عند يحيى بن معين أبو معمر القطيعي ، فقال : ثـقة . وقرئ على العباس ابن محمد الدوري عن يحيى بن معين : أنَّه قال : أبو معمر أكيس من هارون بن معروف . وسئل أبى عن أبى معمر فقال : صدوق)) .

((إنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا)) ونحوه ؟ ، فقال شريك : إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاء بالسنن عن رسـول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وإنَّما عرفنا الله بهذه الأحاديث)) اهـ .

---

(2) عبَّاد بن العوام ، أبو سهل الواسطى ، أحد نبلاء محدثى واسط ، ثقة ثبت ، احتج به البخارى ومسلم . قال ابن أبى حاتم ((الجرح والتعديل))(6/83/425) : ((عباد بن العوام أبو سهل الكلابي الواسطي .
روى عن : حصين والشيباني وسفيان بن حسين . روى عنه : أبو نعيم ، وسعيد بن سليمان الواسطي ، وعمرو بن عون ، وأبو بكر وعثمان ابنا أبى شيبة . أخبرنا الحسن بن عرفة سمعت وكيعا وسألنى عن عباد بن العوام ، فقال : يحدِّث ؟ ، قلت : نـعم ، قال : ليس عندكم أحد يشبهه . أخبرنا على بن أبى طاهر في كتابه إلىَّ : أخبرنا الأثرم سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : عباد بن العوام مضطرب الحديث عن سعيد بـن أبى عروبة . وذكر أبى عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين قال : عباد بن العوام ثـقة . وسئل أبى عن عباد بن العوام فقال : ثـقة ، وهو أحب إلى من عبَّـاد بن عبَّـاد المهلبي)) .

خـاتـمة

هذه الفصول الأربعة السالفة الذكر :
((الأول)) فى إبطال مذهب الحلولية ، وبيان أن قولهم : اللَّه فى كل مكان من أفحش أقوال المعطلة .
((الثانى)) فى بيان أن الإقرار بأن اللَّه جلَّ وعلا فى السماء من الإيمان .
((الثالث)) فى بيان ثمرة الإيمان بأن اللَّه جلَّ وعلا فوق سمواته مستوٍ على عرشه .
((الرابع)) فى بيان أن من الإيمان التصديق بأنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة .

قد جعلتها مقدمة بين يدى هذا الكتاب الفريد فى بابه . الَّذى صنفه أستاذ المحدثين . وعمدة المحققين . الإمام الهمام . شيخ الإسلام أبو الحسن الدارقطنى . وأودعه عدداً من الأحاديث والآثار فى نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا . وأثبت تواترها . وأقام الحجة القاطعة من السنَّة النبوية على صدق اعتقاد أهل السنَّة أنَّ اللّه تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا .

إنَّه)) كتاب النزول))

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى مصر . نشر دار إحياء السنَّة النبوية . بتحقيق وتخريج الدكتور على بن محمد بن ناصر الفقيهى . الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

والحق أقول . قد جاء تحقيق الأستاذ لهذا الكتاب الفذ دون مستواه كثيراً . والملاحظات عليه كثيرة . فلنقتصر على أهمها . وأنا فى ذلك أنشد الخير وأبتغيه ،)) **وما توفيقى إلا باللّه عليه توكلت وإليه أنيب))** :

[أولاً] القصور فى تخريج الأحاديث ، وإهمال عزو أكثرها إلى أمهات الكتب التى تناولت أحاديث هذا الباب . وللوهلة الأولى : يلمح الناقد البصير أنَّ المحقق دائر فى فلك الشيخ الألبانى حيث دار ، فلا يخالف أحكامه وآرائه فى قبيلٍ ولا دبير . فقد جعل من ((ظلال الجنَّة فى التعليق على كتاب السنَّة)) للألبانى مرجعاً يفزع فى مهماته إليه ، ويعوِّل فى الحكم على الأحاديث عليه . ولهذا سكت عن جملة الأحاديث التى ليست فى ((الظلال))!! .

ولنذكر أمثـلةً على هذا القصور :

((الأول)) حديث أبى الدرداء (رقم 73 بتحقيقه . رقم 108 بتحقيقى) . لم يعلِّق عليه بأكثر من قولـه : رواه ابن جريـر فى ((التفسير))(15/139) عن طريق ليث بن سعد، ولم يذكر حكمه ! . وقد علَّقتُ عليه ، وخرَّجته بما لا مزيد عليه فى نحو صفحة كاملة .

((الثانى)) حديث عثمان بن أبى العاص (رقم 72 بتحقيقه . رقم 107 بتحقيقى) . لم يعلِّق عليه بأكثر من قوله : رواه أحمد(4/22) من طريق حمَّاد بن سامة عن على بن زيد به ، ولم يذكر حكمه ! . وقد علقت عليه ، وخرجته بما لا مزيد عليه فى نحو الصفحتين .

((الثالث)) حديث عقبة بن عامر (رقم 65 بتحقيقه . رقم 99 بتحقيقى) . لم يعلِّق عليه بشىءٍ سوى أن ذكر ترجمة على بن المبارك الهنائى .

وأنا أعجب كثيراً لهؤلاء الَّذين يعوزهم العلم بموارد الأخبار ومصادرها . حيث يتركون أصول ومهمات تخريج الأخبار ، ثم يترجمون لمشاهير الأعلام الذين يقال فى شأنهم : أعن مثـل فلان يُسئل ؟! . وأكثر محققى الكتـب اليـوم بهذه المثابـة : ثلاثـة أرباع كتبهم تراجم منقولة من ((التهذيب)) و((التقريب)) و((الكاشف)) و((الخلاصة)) ، حتى انتفخت الكتب المحققة وسمنت .

والأستاذ المحقق ـ عفا الله عنه ـ قد أكثر من الترجمة للمشاهير : الزهرى ، ومالك ، وعبد الله بن وهب ، وعبد الله بن مسلمة القعنبى ، وعبد الله بن يوسف التنيسى ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفى ، وأمثالهم ممن لا يُجهل أمرُهم ولا يسئل عن أمثالِهم ، لاستفاضة شهرتهم بين خواص الأمة والعوام ؛ على حدٍّ سواء ! .

ففى تعليقه على أصح أحاديث هذا الجزء : حديث مالك بن أنس عن الزهرى عن أبى سلمة وأبى عبد الله الأغر عـن أبى هريرة (رقم 26 بتحقيقه . أرقام 32 :41 بتحقيقى) ، تجد ذلك واضحاً غاية الوضوح ، على أن الحديث برواية جبل الحفظ والتثبت والاتقان : مالك بن أنس ، فيه سعة للتخريج واستخراج اللطائف وبيان الفوائد ، ولذا أخرجه إماما المحدثين فى ((صحيحهما)) . قال البخارى (1/100. سندى) : حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك ، ومسلم (6/36. نووى) : حدثنا يحيى بن يحيى قـال قرأت على مالك ـ ثم اتفقا ـ عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)) . والمحقق لم يذكر تخريج الشيخين له ، فأبعد غاية البعد عن مقاصد التحقيق ، والتى أولها ذكر أمهات المصادر وأوسعها تداولاً وشهرةً !! .

ولما كان هذا الحديث بهذه المثابة ، فقد أطلت فى تخريجه ، وصنفت فيه جزءاً لبيان طرقه وألفاظه ، واستفتحت التعليق علي مقال الحافظ الدارقطنى ((رواه مالك بن أنس عن الزهرى)) ، بقولى فى الحاشية : الروايات عن مالك لهذا الحديث هى أصح ما فى هذا المعنى ، وقد رواه أكـثر رواة الموطأ بهذا الإسـناد ((عن مالك بن أنس عن الزهرى عن أبى سلمة وأبى عبد الله الأغر عن أبى هريرة)) :

1- عبد الله بن وهب المصرى .
2- عبد الله بن مسلمة القعنبى .
3- عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقى .
4- معن بن عيسى بن يحيى القزاز .
5- يحيى بن عبد الله بن بكير .
6- يحيى بن مالك بن أنس .
7- يحيى بن يحيى النيسابورى .
8- إسحاق بن عيسى بن نجيح الطباع .
9- إسماعيل بن عبد الله الأويسى .
10- جويرية بن أسماء الضبعى .
11- عبد الرحمن بن مهدى .
12- عبد العزيز بن عبد الله الأويسى .
13- قتيبة بن سعيد القعنبى .
14- مصعب بن عبد الله الزبيرى .
15- أبو مصعب الزهرى .

وقد أخرجه الدارقطنى بروايات السبع الأوائل (أرقام 32 : 41) ، وسيأتي بيانها ، وأما سائر الرواة :

فقد أخرجه أحمد (2/487) عن إسحاق بن عيسى وابن مهدى ، والبخارى (4/296. سندى) و((الأدب المفرد))(753) ، والبيهقى ((الكبرى))(3/2) كلاهما عن إسماعيل الأويسى ، وابن أبى عاصم ((السنة))(492) ، وأبو نعيم ((المستخرج)) (2/352/1723) كلاهما عن جويرية بن أسماء الضبعى ، والبخارى (4/101. سندى) عن عبد العزيز الأويسى ، وأبو نعيم ((المستخرج))(2/352/1723) عن قتيبة بن سعيد ، وعبد الله بن أحمد ((السنة))(1102) عن مصعب الزبيرى ، وابن حبان كما فى ((الإحسان))(920) عن أبى مصعب الزهرى ، ثمانيتهم عن مالك عن الزهرى عن أبي سلمة وأبى عبد الله الأغر عن أبى هريرة أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال : بنحوه ، إلا أن قتيبة أوقفه ولم يرفعه .

ومن رواة الموطأ من يرويه ((عن مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر عن أبى هريرة)) ، فلا يذكر أبا سلمة ، وهم : روح بن عبادة ، وعبد الله بن يوسف التنيسى ، وعلى بن عبد العزيز البغوى .

فقد أخرجه أبو نعيم ((المسند المستخرج على صحيح مسلم))(2/352/1722) قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن جعفر ثنا محمد بن يونس ثنا روح بن عبادة (ح) وثنا محمد بن بدر وسليمان بن أحمد قالا ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن يوسف (ح) وثنا أحمد بن يوسف ثنا محمد بن غالب ثنا التنيسى (ح) وثنا سليمان بن أحمد إملاء وقراءة ثنا علي بن

عبد العزيز قالوا : ثنا مالك عن الزهري عن الأغر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إذا كان نصفُ الليل يَنْزِلُ الله تَعَالَى إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فيقولُ : هَلْ مِنْ دَاعٍ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)) . واللفظ لروح ، لم يذكر واحد منهم أبا سلمة ، وقالوا ((حين يبقى ثلث الليل الآخر)) .

ثم ذكرت تخريج كل روايةٍ على حدة (أرقام 32 :41) ، وختمت بذكر فائدة : أن هذا الحديث أصح حديثٍ فى تحديد وقت النزول ، وليس بين هؤلاء الرواة جميعاً خلاف فى تحديد وقت النزول الإلهى ، أنه ((حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ)) . وهذه اللفظة فى تحديد وقت النزول هى أدق وأصح الألفاظ فى تعيينه ، وذلك لأربعة مرجحات :

(أولها) أنها من رواية جبل الحفظ والتيقظ والتثبت : مالك بن أنس ، من طريق أثبات أصحابه عنه .

(ثانيها) أنه قد تابع مالكاً جماعة من أثبات أصحاب الزهرى : معمر ، وإبراهيم بن سعد ، وفليح بن سليمان .

(ثالثها) أنها الرواية التى اتفق عليها إماما المحدثين : البخارى ومسلم .

(رابعها) أن روايات الحديث عن سائر الصحابة توافقها أو تقاربها بنوع تأويلٍ .

[ثانياً] القصور فى ترقيم الأحاديث . بحيث أعطى الأستاذ المحقق الروايات المتباينة الأسانيد رقماً واحداً لمجرد إتحادها فى مخرج الخبر . ولهذا أعدت ترقيم الأحاديث بإعطاء كلِّ إسنادٍ مباينٍ لمثيله فى المخرج ، ولو فى شيخ المصنف ، رقماً مستقلاً . وهذه هى الطريقة الصحيحة فى الترقيم ، والتى كان يعتمدها العلامة المدقق أحمد شاكر ـ طيَّب الله ثراه ـ ، وقد أبان عنها فى تحقيقه ((جامع الترمذى)) .

ومثال ما وقع فيه القصور فى الترقيم ؛ حديث مالك بن أنس عن الزهرى عن أبى سلمة وأبى عبد الله الأغر عـن أبى هريرة (رقم 26 بتحقيقه) ، فقد أعطى المحقق الروايات العشرة المتباينة رقما واحداً ، وأعطيتها بعد إعادة ترقيم أحاديث الكتـاب كله عشرة أرقام (32 :41) على النحو التالى :

قال الإمام أبو الحسن على بن عمر بن أحمد الدارقطنى الحافظ :

(32) حدثنا أبو بكر النيسابورى قال : ثنـا يونس بن عبد الأعلى قال : ثنا عبد الله بن وهب قال : أخبرنى مالك عن ابن شهاب (ح)

(33) وحدَّثنا أبو روق أحمد بن محمد بن بكر بالبصرة قال : ثنا محمد بن محمد بن خلاد قال : ثنا معن بن عيسى ثنا مالك (ح)

(34) وأخبرنا أبو محمد بن صاعد عن موسى بن أبى خزيمة ثنا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك (ح)

(35) وحدثنا أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى قال : ثنـا إبراهيم بن إسحاق السراج (ح)

(36) وحدثنا عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله قال : ثنـا على بن الحسين بن مهران النيسابورى ، قالا : ثنـا يحيى بن يحيى قال : قرأت على مالك (ح)

(37) وأخبرنا أبو محمد بن صاعد ثنـا محمد بن عبد الملك بن زنجويـه وأحمد بن منصور قالا : ثنـا القعنبى عن مالك (ح)

(38) وحدثنا عثمان بن أحمد الدقاق وأحمد بن محمد بن زياد قالا : ثنـا إسماعيل بن إسحاق ثنـا عبد الله بن مسلمة عن مالك (ح)

(39) وحدثنا محمد بن على بن إسماعيل الأيلى ثنـا عبيد الله بن محمد بن إبراهيم الصنعانى قال : أنبأ مسلمة أبو قدامة ثنـا يحيى بن مالك بن أنس قال : أخبرنى أبى (ح)

(40) وحدثنا الحسن بن رشيق بمصر ثنـا أحمد بن محمد بن عبد العزيز ثنـا يحيى بن بكير ثنـا مالك (ح)

(41) وحدثنا الحسن بن على بن داود الطـراز بمصـر ثنـا أحمـد بن يحيى بن جرير ثنا الحارث بن مسكين ثنـا عبد الرحمن بن القـاسم ثنا مالك ، ثم قالوا : عن ابن شهاب عـن أبى عبد الله الأغر وأبى سلمة عن أبى هريرة .

ووضعت حاءاً مفردةً بين معقوفتين بهذه الصورة (ح) ، كما جرت عادة كتـبة الحديث بكتابتها بين إسنـادٍ وآخر يجامعه فى المخرج أو متن الحديـث .

قال شيــخ الإسلام أبو زكريا النـووى ((التـقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير))(2/88) : ((إذا كان للحديث إسنادان أو أكثر كتبـوا عند الانتـقال من إسناد إلى إسنـاد (ح) ، ولم يعرف بيانها عمن تقدم . وكتب جماعة من الحفاظ موضعها (صح) ، فيشعر ذلك بأنها رمز صح . وقيل : من التحويل من إسناد إلى إسناد . وقيل : لأنها تحول بيـن الإسنادين ، فلا تكون من الحديث ، ولا يلفظ عنـدها بشيء . وقيل : هي رمز إلى قولنا الحديث ، وإن أهل المغرب كلهم يقولون إذا وصلوا إليها الحديث)) .

ثمَّ قال : ((والمختار أن يقول : حا ويمرّ)) اهـ .

قـلت : ويستحسن ، وربما يتوجب كتابة هذه الحاء المفردة (ح) ، كما فعلت هاهنا ، لئلا يُـتوهم أن متن الإسـناد الأول ساقط ، ولئـلا يدخل الإسناد الثانى فى الأول ؛ فيظن القارئ أنهما إسناد واحد . ولعلك إذا نظرت إلى الأحاديث المرقومة بأعلاه ، بعد إضافة هذا الرمز ، تيقـنت أنها ليست إسناداً واحداً ، وإن اجتمعت كلها فى متنٍ واحدٍ واشتركت كلها فى مخرج الحديـث . وراجع كتابنا :

((مشارق الأنوار وخزائن الأسرار فى كلام الترمذى على مراتب الأخبار))

[ثالثاً] التصحيف فى أسماء رجال الأسانيد ، رغم شهرة أكــثرهم , مثل ((مالك بن سعير)) فهو عنده ((ابن سعيـد)) ، و((عبد الرحمن بن عـرزب)) فهو عنده ((ابن عزوب)) ، و((خالد بن خلى)) فهو عنده ((ابن على)) ، و((محمد بن سهل بن عسكر البخارى)) فهو عنده ((محمد بن سهل عن عسكر البخارى)) ؛ جعلهما راويين يروى أحدهما عن الآخر ، وغيرها مما يأتى التنبيه عليه فى ثنايا التحقيق .

[رابعاً] تقليد الأستاذ المحقق للشيخ الألبانى تقليداً مطلقاً ، من غير مخالفة ولو فيـما أخطأ فيه . فقد قلّـد الشيخ الألبـانى على تصحيحه ((أحاديث ليلة النصف من شعبان)) .

وهذا تقليد نعجب له أشد العجب ! . فقد وضح لكل من له إلمام بقواعد المصطلح : تساهل الشيخ الألبانى فى هذا الحكم ، ومخالفته لأئمة الجرح والتعديل وجهابذة نقد الأخبار . فكيف غاب عن الدكتور المحقِّق هاتين الحقيقتين ؟! .

ومع ذا كله ، فالإستاذ الدكتور مشكور المساعى ، غير مكفور جهدُه ، إذ أخـرج هذا الكتاب الفذ ، الذى لولاه لكان فى زوايا النسيان .

فهو بسبـقٍ حائزٌ تفضيلا مستوجبـاً ثنائى الجميـلا
والله يقضى بهباتٍ وافـرة لى وله فى درجات الآخرة

وهذا حين الشروع فى المقصود . بالاعتماد على نسخة الكتاب المطبوعة بدار إحياء السنة النبوية . والله المستعان وعليه التكلان .

مدخل إلى التعليق المأمول يشتمل على :

(1) ترجمة الإمـــام الدارقطنى

(2) نشـــاته ونبـــــوغه فى العلم

(3) شيوخه فى ((كتاب النزول))

(4) ثناء العلماء عليه قديماً وحديثاً

(5) مصنفاته

(6) وفاته

ترجمة الإمام الحافظ على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود
أبو الحسن الدارقطنى البغدادى *

أستاذ المحدِّثين . وعمدة المحققين . وإمام عصره الذى قلَّدته إمارتها أئمة الأمصار . وتنزَّهت من فضائله فى حدائق ذات بهجةٍ وأنوار .

فالناسُ كلُهم لسانٌ واحدُ يتلو الثناء عليه والدنيا فمُ

فعلم الحديث مدينةٌ وعلىٌّ بابُها [1] . ومحطُّ آمالٍ تنوَّرتها أبصار الفُضلا وألبابُها . أجمع علماء عصره على أنَّه البحر الَّذى لا تكدِّره الدِّلاء . والجامع أشتات الفضائل التى عجزت عن كنه وصفها الأسماء . فكأنما كانت الآثار ميتةً فأحياها وأنشرها . وأقام عمادها بعدما أماتها الجهل فأقبرها .

* ترجمته فى : البداية والنهاية (11/317) , والأنساب (5/247:245) , وتاريخ بغداد (12/40:34) , وتذكرة الحفاظ (3/995:991) , وروضات الجنات(481) ، وسير أعلام النبلاء (16/460:449) ، وشذرات الذهب (3/117:116) , وطبقات الإسنوى (1/508) , وطبقات ابن هداية اللّه (33) , وطبقات الحفاظ (393) ، وطبقات الشافعية الكبرى (3/466:462) ، والعبر فى خبر من غبر (2/167) ، وغاية النهاية فى طبقات القراء (1/558) ، واللباب (1/438) ، والمختصر فى أخبار البشر(2/130) ، ومعجم البلدان (2/422) ، ومفتاح السعادة (2/14) ، المنتظم (7/183) ، والنجوم الزاهرة (4/ 172) ، ووفيات الأعيان (3/297) .

(1) ((أنا مدينة العلم , وعلى بابها)) حديث موضوع . رواه العقيلى ((الضعفاء)) (3/150) , وابن حبان ((المجروحين)) (2/152،151) , وابن عدى ((الكامل)) , والطبرانى (11/65/11061) , والحاكم (3/127،126) , والخطيب ((تاريخ بغداد)) (4/348) , وابن الجوزى ((الموضوعات))(1/352،353) جميعاً عن جماعة من المجروحين عن أبى معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً به .
قال ابن عدى : هذا الحديث يُعرف بأبى الصلت الهروى (شيعى هالك) عن أبى معاوية ، سرقه منه جماعة من الضعفاء . فرووه عن أبى معاوية اهـ .
وكفاه بكتابه ((العلل)) الّذى لم يصنَّف مثله شرفاً . فلقد سما به فوق مناكب الجوزاء وما اكتفى . كيف وتصانيفه قد جاوزت الآفاق وسارت مسير الشمس . فلم يجحد فضلها إلا الّذى يتخبطه الشيطان من المس . فكأنما عناه أبو عبادة البحترى بقوله :

وإذا دجت أقلامُه ثم انتحت برقت مصابيح الدُّجى فى كتبه
باللفظ يقرُب فهمُه فى بعده منا ويبعُد نيلُه فى قربه
كالروض مؤتافاً بحُمرة نوره وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها والسمع معقود بها شخص المحب بدا لعين محبه

نشأته ونبوغه فى العلم

نشأ فى عنفوان صباه وأنفاسه ندىَّة . فى محلَّة دار القطن(1) بالديار البغدادّية . فتفقَّه على أبى بكر النيسابورى . أحد أقطاب الشافعية . ولم يزل عنده حتى عبقت من شمائله نسمات الألمعية . وسمع الحديث من يحيى

بن صاعد البغدادى . أحد العلماء الأذكياء . ولم يلتفت بهِّمته عنه إلى صفراء ولا بيضاء . حتى أفرغ ما فى جعابه . وحمد السُّرى عند إيابه . وتلقى القراءات عن أبى الحسين أحمد بن بُويان . إمام القراءة والإقراء . فرقى عنده فى معارج المعالى حتى جاوز الجوزاء .

وهو على ذلك كله يشرى نفسه ابتغاء مرضات اللَّه بجوهر عمره النفيس . عاكفاً فى محراب العلم والتصنيف والتدريس . وهمَّة عزماته تعلو فوق الثريا وتجاوز حدود البشر . حتى ذاع فى الآفاق أنَّه فريد العصر فى علوم الشريعة والأثر. والدهر يسعفه بخاطرٍ عجيبٍ سيَّال . وقريحةٍ وقادةٍ ليس لها فى الأقران مثال . فسلَّم إلى يد الشرف عنانه . ـــــــ

= قلت : وقد تعجب الأئمة من جرأة الحاكم على تصحيحه . وأنكروا عليه ذلك . وفى الباب عن : على بن أبى طالب , وجابر بن عبد اللَّه . وكلها بواطيل وموضوعات . فصَّل القول فى بيانها أبو الفرج بن الجوزى فى ((الموضوعات)) .

(1) دار القطن : بفتح الراء ، وضم القاف وسكون الطاء المهملة ، وفى آخرها نون محلة كبيرة ببغداد ، وإليها ينسب الدارقطنى . اللباب(1/483) .

ونثر على جيد الزمان جُمانه . فى تصانيف أبهى من الرياض الزاهرة . وأزكى من عبير الرياحين العاطرة . ((والفجر . وليالٍ عشر)) . ودَّت آذان الدهر لو كانت لتصانيفه دار نشر . فهى التى تحج إليها الأفئدة والبصائر. وتعتكف فى حرم إفادتها الأسماع والضمائر . كيف لا , وأقوال الرسول محتواها . ودلائل الهداية والإرشاد مضمونها وفحواها !! .

ولم يزل بدر كماله فى بزوغٍ والتماع . وعزَّ جَدَّه فى علوٍ وارتفاع . حتى طافت به المنيَّة طوافَ الوداع . فنقلته إلى جوار الرحمن الرحيم . وأنزلته فى قصور الجنان ودار النعيم . فهنيئاً له مثوى الأبرار . ومستقر الصدِّيقين والأخيار .

زمـانُك كـلُّه أمسى ربيعـاً خصيب الفضل ذا ظلٍ وريفٍ

شيـوخـه

قد سمع الدارقطنى الحديث من عدد كثير من الأئمة العلماء الأعلام . ممن ذاع صيتهم ببغداد والبصرة والكوفة وواسط ومصر والشام . فلنكتفى بذكر من حدث عنهم فى ((كتاب النزول)) . وعددهم ستة وأربعون شيخاً . مرتِّبين إياهم على حروف المعجم :

(1) إبراهيم بن حماد بن إسحاق , أبو إسحاق الأزدى (ت 323) .
(2) أحمد بن كامل بن شجرة القاضى , أبو بكر البغدادى (ت 350) .
(3) أحمد بن عبد اللَّه بن محمد الوكيل , أبو بكر النحاس (ت 325) .
(4) أحمد بن محمد بن بكر الهزَّانى , أبو روق البصرى (ت 332) .
(5) أحمد بن محمد بن جعفر بن حمَّويه , أبو الحسين الجوزى (ت 341) .
(6) أحمد بن محمد بن أبى الدَّيال , أبو على المروزى .
(7) أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ , أبو العباس بن عقدة (ت 332) .
(8) أحمد بن محمد بن عبد اللَّه بن زياد , أبو سهل القطان (ت 350) .
(9) أحمد بن محمد بن يوسف ختن الصرصرى , أبو العباس السقطى (ت 361) .
(10) أحمد بن نصر بن طالب الحافظ , أبو طالب البغدادى (ت 323) .
(11) إسماعيل بن العباس الورَّاق , أبو على البغدادى (ت 323) .
(12) الحسن بن على بن داود الطراز , أبو عبد اللَّه المصرى .
(13) الحسين بن إبراهيم بن الحسين الخلال , أبو عبد اللَّه الواسطى .
(14) الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل , أبو عبد اللَّه المحاملى (ت 330).
(15) سعيد بن محمد بن أحمد بن سعيد , أبو عثمان البيِّع (ت 321) .
(16) عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد , أبو القاسم الهمدانى .
(17) عبد الصمد بن على بن محمد الطستى , أبو الحسين الوكيل (ت 346) .
(18) عبد العزيز بن جعفر الخوارزمى , أبو شيبة .
(19) عبد اللَّه بن سليمان بن الأشعث الحافظ , أبو بكر البغدادى .
(20) عبد اللَّه بن محمد بن زياد بن واصل , أبو بكر النيسابورى (ت 324) .
(21) عبيد اللَّه بن عبد الصمد بن المهتدى باللَّه المصرى (ت 323) .

(22) عبيد اللَّه بن موسى بن إسحاق , أبو الأسود القاضى .
(23) عثمان بن أحمد بن عبد اللَّه الدقاق , أبو عمرو بن السمَّاك (ت 344) .
(24) على بن عبد اللَّه الفضل , أبو الحسين البغدادى (ت 363) .
(25) على بن عبد اللَّه بن مبشِّر , أبو الحسن الواسطى (ت 324) .
(26) على بن محمد بن أحمد الواعظ البغدادى , أبو الحسن المصرى (ت 338) .
(27) القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل , أبو عبيد المحاملى (ت 323) .
(28) محمد بن إسماعيل الفارسى , أبو بكر الفرغانى (ت 331) .
(29) محمد بن بدر الأمير , أبو بكر الحمامى الطولونى (ت 364) .
(30) محمد بن الحسن بن كوثر , أبو بحر البربهارى (ت 362) .
(31) محمد بن سليمان بن مجمد بن عمرو النعمانى, أبو جعفر الباهلى (ت 321) .
(32) محمد بن سليمان القاضى المالكى , أبو على البصرى .
(33) محمد بن سهل بن الفضيل الكاتب أبو على البغدادى (ت 325) .
(34) محمد بن العباس بن محمد بن أحمد , أبو زرعة الصيرفى .
(35) محمد بن عبد اللَّه بن الحسين العلاف , أبو بكر المستعينى (ت 325) .
(36) محمد بن على بن إسماعيل الأيلى , أبو عبد اللَّه المصرى (ت 329) .
(37) محمد بن القاسم بن زكريا الكوفى , أبو عبد اللَّه المحاربى (ت 326) .
(38) محمد بن نوح بن عبد اللَّه الحافظ , أبو الحسن الجنديسابورى (ت 321) .
(39) محمد بن يحى بن هارون , أبو جعفر الإسكافى .
(40) موسى بن جعفر بن قرين , أبو الحسن العثمانى (ت 328) .
(41) نصر بن ببزويه بن جوانويه , أبو القاسم الشيرازى (ت 320) .
(42) يزداد بن عبد الرحمن الكاتب , أبو محمد البغدادى (ت 327) .

(43) يحيى بن محمد بن صاعد الحافظ , أبو محمد البغدادى (ت 328) .
(44) يعقوب بن إبراهيم البخترى , أبو بكر البزار (ت 322) .
(45) يعقوب بن محمد بن عبد الوهاب , أبو عيسى الدورى (ت 333) .
(46) يوسف بن يعقوب بن يوسف , أبو عمرو النيسابورى (ت 321) .

ولنقتصر على موجز تراجم عشرة من شيوخه . ممن أشرقت مصابيح أنـوارهم فى مشكاته . وانطبعت عرائس أوصافهم فى مرآته . وعليهم تأدَّبَ وبرع . وعنهم وعى ما جمع :

(1) أبو سهلٍ أحمد بن محمد بن عبد اللَّه بن زياد ، القطَّان البغدادى[1] .

الإمام المحدِّث الثقة . مسند العراق . الدائم التهجد والتلاوة والإنابة . على مزاحٍ فيه ودعابة . كان بالتفسير عالما . وللشعر راويةً وناظمًا . يميل إلى الدعابة والتسهيل . ويجانب ذوى الأهواء والتعطيل .

حدَّث عن : أحمد بن محمد بن عيسى البرتى ، وأحمد بن عبد الجبار العطاردى ، ومحمد ابن عبيد اللّه بن المنادى ، ومحمد بن الحسين الحنينى ، ومحمد بن عيسى بن حَّيان المدائنى ، ومحمد بن الجهم السمرى ، وإسحاق بن الحسن الحربى ، وإسماعيل بن إسحاق القاضى ، وإسماعيل بن الفضل البلخي ، والحسن بن مكرم ، وعبد الكريم بن الهيثم العاقولى , ويحيي بن أبى طالب ، وأبى إسماعيل الترمذى ، وعدةٍ .

وروى الأدب عن : أبى العباس ثعلب , وأبى العباس المبرِّد , وأبى سعيد السكرى .

وحدَّث عنه : أبو الحسن بن رزقويه ، وأبو الحسين بن بشران ، وأبو القاسم بن بشران ، وأبو على بن شاذان ، وأبو الحسن الدارقطنى ، وأبو عبد اللّه الحاكم .

---

[1] ترجمته فى : ((البداية والنهاية))(11/238) , و ((تاريخ بغداد))(5/45) , و ((سير الأعلام)) (15/521) , و((شذرات الذهب))(3/2) , و ((العبر فى خبر من غبر))(2/285) ، و ((النجوم الزاهرة))(3/328) .

قال الخطيب : سمعت محمد بن الحسين بن الفضل القطان يقول حدثني من سمع أبا سهل ابن زياد يقول : سمى الله

المعتزلة كفارا قبل أن يذكر فعلهم ، فقال ((يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا)) الآية .

وحدَّثنى الأزهرى قال : قال أبو عبد اللَّه بن بشر القطان : ما رأيت رجلاً أحسن أنتزاعاً لما أراد من آى القرآن من أبى سهل القطان , وكان جارنا , وكان يديم صلاة الليل وقراءة القرآن , فلكثرة درسه كان القرآن نصب عينيه , ينتزع منه ما يشاء .

وقال الخطيب : وكان فيه مزاح ودعابة . سمعت البرقانى يقول عنه : صدوق روى عنه الدارقطنى , وإنما كرهوه لمزاحٍ فيه .

وقال : ذكر أبو عبد الرحمن السلمى أنه سأل الدارقطنى عنه ، فقال : ثـقة .

توفى فى شعبان سنة خمسين وثلاثمائة , وعمره إحدى وتسعون سنة , ودفن بقرب معروف الكرخى .

قال أبو عبد الله الحاكم (14/162) : أخبرنا أبو سهل بن زياد بن القطان ثنا أبو قلابة ثنا بدل ابن المحبر ثنا شعبة عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة)) .

قال أبو عبد الله : ((هذا حديث صحيح غريب من حديث شعبة)) .

وقال أبو بكر البيهقى ((الكبرى))(3/394) : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان ببغداد أنبأ أبو سهل بن زياد القطان ثنا إسماعيل بن الفضل البلخي ثنا عبد الرحمن بن صالح ثنا حفص بن غياث عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((خمروا وجوه موتاكم ، ولا تشبهوا بيهود)) .

قال أبو بكر : ((وهذا إن صح يشهد لرواية إبراهيم بن أبي حرة في الأمر بتخمير الوجه ، إلا أن أبا عبد الله الحافظ وأبا سعيد بن أبي عمرو أخبرنا أن أبا العباس محمد بن يعقوب حدثهما ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا عبد الرحمن بن صالح بهذا الحديث ، فحدثت به أبي فأنكره ، وقال : هذا أخطأ فيه حفص فرفعه ، وحدثني عن حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عطاء مرسلا)) .

قال أبو بكر : ((وكذلك رواه الثوري وغيره عن ابن جريج مرسلا ، وروى عن علي بن عاصم عن ابن جريج كما رواه حفص وهو وهم والله أعلم)) .

(2) أبو طالب أحمد بن نصر بن طالب ، الحافظ البغدادى[1].
الإمام الحافظ المتقن . أحد الأثبات الرفعاء . والأخفياء الأتقياء . محدِّث بغداد . ومن درَّس بها التاريخ وأفاد . وله فيه كتابٌ على أكُفِّ القبول مرفوع . ففى طياته العلم مبثوثٌ لا مقطوعٌ ولا ممنوع .
حدَّث عن : العباس بن محمدٍ الدورى , وإسحاق بن إبراهيم الدبرى , ويحيى بن عثمان ابن صالح , وأحمد بن ملاعب , وعدَّةٍ .
وحدَّث عنه : أبو عمر بن حيَّويه , ومجمد بن المظفَّر , وأبو الحسن الدارقطنى , وأبو طاهر المخلِّص , وأبو حفص بن شاهين , وآخرون .
قال الخطيب : كان ثقةً ثبتاً . وقال الدارقطنى : أبو طالب الحافظ أستاذى .
توفى فى رمضان سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة .

---

[1] ترجمته فى : ((تاريخ بغداد))(5/182) , و ((تهذيب ابن عساكر))(2/103) , و ((تذكرة الحفاظ)) (3/832) , و ((سير الأعلام))(15/68) , و ((شذرات الذهب))(2/298) , و ((العبر))(2/198).

(3) أبو عبد اللَّه الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل , البغدادى المحاملى القاضى[1].
الإمام المحدِّث العدل الثقة المأمون . أحد مفاخر العراق . الطائر ذكره فى الآفاق . والسالك فى القضاء للطريقة التى لا عوج فيها . والموصوف بالأخلاق والشمائل التى كانت الأخيار تصطفيها . والَّذى كان البلاء يُدفع عن أهل العراق بتضرعه ودعائه . وتستمطر السماء بإنابته ورجائه .
أقام فى القضاء ستين سنةٍ محمود السيرة . لم يرتكب جريرةً تشينه لا كبيرة ولا صغيرة . فداوى سقامه . وقد قبَّل النقرسُ أقدامه . واصطاد فى حرمه حمامات الكرم . فواعجباً

كيف حلَّ له الصيد فى الحرم . فهو فى سماء الشمائل محسود من النجوم والكواكب . وأنَّى لها أن تضاهيه مع هاتيك المآثر والمواهب .

صفاته لم تزده معرفةً وإنَّما لــذَّةً ذكرناها

ولم يزل هودج عمره محمولاً على هامات الأنحاء . حتى طلع ثنية الوداع وهبط منها إلى وادى الفناء . فركب سفينة نعشه واستراح من العناء . وألقى عصا التسيار فى مقام أمين . مجاوراً للأبرار والأخيار والصدِّيقين .

حدَّث عن : محمد بن المثنى العنزى , والحسن بن الصباح البزار , ويعقوب بن إبراهيم الدورقى , وحفص بن عمرو الربالى , وأبى هاشم الرفـاعى , وأبى الأشــعث العجلى , وأبى حذافة السهمى , وعمرو بن على الفلاس , وعدَّةٍ .

حدَّث عنه : دعلج السجزى , ومحمد بن عمر الجعابى , وأبو بكر بن شاذان , وأبو الحسن الدارقطنى , وأبو حفص بن شاهين , وابن المظفر , وكثيرون .

قال الخطيب : ذكر حمزة بن محمد بن طاهر أنه سمع أبا حفص بن شاهين يقول : حضر معنا محمد بن المظفر يوماً مجلس القاضى المحاملى , فلما أملى المحاملى المجلس , إلتفت إلىَّ ابن المظفر وقال : يا أبا حفص , ما عدمنا من أبى محمد بن صاعد إلا عينيه .

---

(1) ترجمته فى : ((الأنساب))(510) , و ((البداية والنهاية))(11/203) , و ((تاريخ بغداد)) (8/23:19) , و ((تذكرة الحفاظ))(3/826:824) , و ((سير الأعلام))(15/261:258) , وشذرات الذهب (2/326) , و ((العبـر فى خبرمن غبر))(2/297) , و ((المنتظم))(6/329:327) , و ((الوافى بالوفيـات))(12/341) .

قلت : يعنى أن المحاملى نظير ابن صاعد فى الحفظ والتثبت وعلو الإسناد . وقال الخطيب : حدَّثنى عبيد اللّه بن أحمد بن عثمان سمعت أبا بكر الداوودى يقول : كان يحضر مجلس المحاملى عشرة آلاف رجل .

تـوفى فى ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلاثمائة .

(4) أبو محمد دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن التاجر, السجستانى البغدادى[1].

أحد فضلاء أعيان التجار . وأئمة الحديث من ذوى الجاه واليسار . ممن كانوا لعين المجد قُرَّةً . ولوجه المكارم غُرَّةً . ولقلب الزمان فرحةً ومسرةً .

بحر نوالٍ فاض على الخلق بالعون والإمداد . فقرأت القلوب فى محبته آيات المحبـة والوداد . له فى الجود والإحسان مواقف لم يُتحدَّث فى الدهر بمثلها . فما حاتمُ معها إلا ظلٌ من ظلالها . فهو قطب هذه الدائرة . وبذكره الأمثال سائرة . فلم يرد بغداد أحدٌ من أهل العلم والصلاح . وإلا نزل بهذه الساحة يتفيأ ظلال الكرم والسماح .

ملكٌ يجودُ ولا يـؤامرُ أمراً فيه ويـحكمُ فى جَــداه المُجْـتدى
ويقول والشرفُ المُنـيفُ يحفُّهُ لا خيـرَ فى شرفٍ إذا لمْ أحـمدِ
وأكونُ عند ظنونِ طُلاب النَّدى وأذبُّ عن شرفى بما ملكتْ يدى
يأبى لعرضى أن يكونَ مشعَّثاً جـودٌ وقــاه بطارفٍ وبمُتْـلَدِ
كم من ضَريكٍ قد بسطتَ يمينَه بعدَ التحيُّــن فى ثـراءٍ سَرمدِ

ولما دعاه اللَّه لجوار الجنان . وطافت بمثواه ملائكُ الغفران . نعاه اليتيمان : الجـود والكرم . وناحت لفراقه حمائم الحرم .

قال الخطيب : حدَّثنا أبو منصور العكبري حدَّثنى أحمد بن الحسين الواعظ قـال : أودع أبو عبد اللَّه بن أبى موسى الهاشمى عشرة آلاف دينار ليتيم فأنفقها , فلما كبر الصبى , أذن له فى قبض ماله , قال ابن أبى موسى : فضاقت علىَّ الدنيا , فبكَّرت على ـــــــ

(1) ترجمته فى : ((البداية والنهاية))(11/241) , و ((تاريخ بغداد))(8/387) , و ((تذكرة الحفاظ)) (3/881) , و ((سير الأعلام))(16/35:30) , و ((شذرات الذهب))(3/8) , و ((طبقات الحفاظ)) (360) , و ((طبقات الشافعية الكبرى))(3/291) , و ((العبر))(2/291) , و ((مرآة الجنان)) (2/347) , و ((المنتظم))(7/14:10) , و ((النجوم الزاهرة))(3/333) .

بغلتى إلى الكرخ , فوقفت على باب مسجد دعلج , فصليت خلفه الفجر , فلما انفتـل رحب بى ودخلنا داره , فقدَّم هريسةً فأكلنا وقصَّرت , فقال : أراك منقبضاً ! ، فأخبرته ، فقال : كل , فإن حاجتك تُقضى , فلما فرغنا وزن لى عشرة آلاف دينار , فقمت أطير فرحاً , وسلمت المال إلى الصبى بحضرة قاضى القضاة , وعظمُ الثناء علىَّ , فاستدعانى أمير من أولاد الخليفة , فقال : قد رغبت فى معاملتك وتضمينك أملاكى , فضمنتها , فربحت ربحاً عظيماً بلغ فى ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار , وحملت لدعلج المال , فقال : سبحان الله ، والله ما نويت أخذها ، حلِّ بها الصبيان ، فقلت : أيُّها الشيخ ,

أيش أصل هذا المال حتى تهب لى عشرة آلاف دينار؟ ، فقال : كنت أتاجر فى البحر , فوافانى تاجر , فقال لى : قد رغبت فى تسليم مالى إليك مضاربـة ، فسلَّم إلىَّ ألف ألف درهـم , وقال : ابسط يدك فيه ، ولا تعلم مكاناً يُنفق فيه إلا حملته إليه , ولم يزل يتردد إلىَّ سنةً بعد سنةٍ يحمل إلىَّ مثل هذا , والمال ينمى , فلما كان فى آخر سنةٍ اجتمعنا ، قال لى : أنا كثير الأسفار فى البحر , فإن قضى اللَّه علىَّ قضـاءً ، فهـذا المال كله لك , على أن تتصدق منه وتبنى المساجد , فأنا أفعل مثل هذا , وقد ثمَّر اللَّه المال فى يدى .

قال أبو ذر الهروى : خلَّف دعلج ثلاثمائة ألف دينار .

فلعل دعلجاً المقصود , بهذا المديح المحمود :

من ذا يُضاهيك فيما حُزت من شرفٍ ومن يـدانيـك فى حلم وبحكيكا

فالشـمس مهما ترقَّت فهى قاصرةٌ عن بعض أيسر شىء من مراقيكا

والبدر لمحـةُ نورٍ منـك نُبـصرها والبـحر قطرةُ ماءٍ من غواديـكا

وكل بـدرٍ فمـن علياك مكتسـبٌ وكـل فخـرٍ نـراه فى حواشيـكا

وما حكى السلف الماضى وحدَّثنـا من السجايا بـه إحـدى التى فيكا

تـعنـو لعفَّتك الزَّهـاد مذعنــةً ويحسُـد الفـلكُ الأعلى مغانـيكا

وكأنما عناه الوامق الصادق , وقد استرقَّه بسخائه الفائق :

مولىً أقل هباته الدنيا فقـلْ ما شئت فى معروفه وسخائه

غيثٌ أغاث به المهيمن خلقه متفضلاً وقضى لهم بقضائه

السعد من خدامه والعز مـن أتبـاعه والمجـد من ندمائه

توفِّى فى جماد الآخرسنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .

***

(5) أبو بكر عبد اللَّه بن سليمان بن الأشعث السجستيانى , الحافظ بن الحافظ الأزدى[1] .

إمام العراق الَّذى ليس له فى سعة الحفظ نظير . وأديب العلماء الراقى فى ذروة المجد الخطير . والحافظ الَّذى إذا غابت الكتب فهو الجريدة . والحاذق فى فنون الشعر كأنَّه بيت القصيدة . روضة مجدٍ غذَّتها مواهب الإحسان . وقبلة علم يُتلى فى محرابها ((هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)) . فكأنما عُجنت طينته بماء الآداب والعلوم . وتأخت فطرته مع ثمرات العقول والفهوم .

سمع : محمد بن أسلم الطوسى , وعلى بن خشرم , وسلمة بن شبيب , ومحمد بن يحيى الذهلى , وإسحاق بن منصور , ومحمد بن بشار , ومحمد بن مثنى , ونصر بن على , وعمرو ابن على الفلاس , وخلائـق .

حدَّث عنه : ابن أبى حاتم , وأبو بكر بن مجاهد , ودعلج السـجزى , وأبو عمر بن حيَّويه , والدارقطنى , وأبو حفص بن شاهين , وأبو أحمد الحاكم , وغيرهم .

وصنف : المسند ، والسنن , والتفسير , والقرآات , والناسخ والمنسوخ .

قال أبو على الحسين بن على الحافظ : سمعت أبا بكر بن أبى داود يقول : حدَّثت بأصبهان من حفظى ستة وثلاثين ألف حديث , ألزمونى الوهم منها فى سبعة أحاديث , فلما انصرفت أفى العراق وجدت فى كتابى خمسة منها على ما كنت حدَّثتهم به .

توفى فى ذى الحجة سنة ستة عشرة وثلاثمائة .

---

(1) ترجمته فى : ((أخبار أصبهان))(2/66) , و ((تاريخ بغداد))(9/464) , و ((تذكرة الحفاظ)) (2/298) ، و ((شذرات الذهب))(2/273) , و ((طبقات الحنابلة))(2/51) , و ((طبقات العبادى)) (60) , و ((طبقات الشافعية الكبرى))(3/307) , و ((طبقات القراء))(1/420) , و ((العبر)) (2/164) , و ((لسان الميزان))(3/293) , و ((مرآة الجنان))(2/269) , و ((المنتظم))(6/218) , و ((ميزان الإعتدال))(2/433) , و ((النجوم الزاهرة))(3/222) .

(6) عبد اللَّه بن محمد زياد بن واصل الحافظ , أبو بكر النيسابورى[1] .

أمام فقهاء الشافعية فى زمانه بلا نزاع . وحافظ أوانه من غير نكير ولا دفاع . ثقة ثبت نبيل . ليس له فى معرفة اختلافات ألفاظ المتون مثيل . فكأنما صحائف الأحاديث نصب عينيه منشورة . فلذا كانت مجالسه بالأكابر معمورة . يرجعون إليه فى الفقه للإستفادة والزيادة . رجوع أهل التفسير والحديث إلى قتادة . فهو من القوم الذين هم فى معارج

الكمال ســالكون . ((والَّذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)) .
مضت الدهور وما أتين بمثله ولقد أتى فعجزن عن نُظرائه
قال أبو عبد الرحمن السلمى : سألت الدارقطنى عنه فقال : لم نر مثله فى مشايخنا , ولم نر أحفظ منه للأسانيد والمتون , وكان أفقه المشايخ , وجالس المزنى والربيع , وكان يعرف زيادات المتون .
سمع : محمد بن يحيى الذهلى , وأحمد بن يوسف السلمى , ويونس بن عبد الأعلى , وأحمد بن عبد الرحمن بن وهب , وأبا حاتم ، وأبا زرعة الرازيان , ومحمد بن مسلم بن وارة ، وأبا بكر الصاغانى ، وخلائق .
حدَّث عنه : موسى بن هــارون الحافظ , وابن عقدة , وحــمزة بن محمد الكنانى , وابن المظفر , والدارقطنى , وابن شاهين , وغيرهم .
توفى فى ربيع الآخر سنة اربع وعشرين وثلاثمائة .

---

(1) ترجمته فى : ((البداية والنهاية))(11/186) , و ((تاريخ بغداد))(10/122:120) , و ((تذكرة الحفاظ))(3/821:819) , و ((سير الأعلام))(15/67:65) , و ((شذرات الذهب))(2/302) , و ((طبقات الحفاظ))(341) , و ((طـبقات الشيرازى))(113) , و ((طـبقات العبادى))(42) , و ((العبر))(2/201) , و ((مرآة الجنان))(2/288) , و ((المنتظم))(6/286) , و ((النجوم الزاهرة)) (3/259) .

(7) أبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن الحسن الواعظ , البغدادى المصرى(1) .
إمام ثـقة ثبت جليل . علمُ إمامته فى التذكير مشهور . ومجلس وعظه بالفضلاء آهل معمور . له فى الوعظ أنفاسٌ تقرِّب ذكر هاذم اللذات . وتسكر الآذان إلا عن سماع الآيات البينات . نزل بمصر مدَّة ابتسم بمحياه ثغرها . ودرَّت عليه سحائب نعمها فللّه درها . فوعظ ودرَّس . ونزل فى ساحة الرضا وعرَّس .
قال أبو بكر الخطيب : كان ثقة أميناً عارفاً . جمع حديث الليث بن سعد وابن لهيعة . وصنف كتباً كثيرة فى الزهد ,

وكان يحضر مجالس وعظه الرجال والنساء ، فكان يجعل على وجهه برقعاً لئلا يفتتن النساء بحسن وجهه .

سمع : أحمد بن عبيد بن ناصح , وأبا إسماعيل الترمـذى , وأحمد بن إسحاق الوزَّان , وأبا يزيد القراطيسى , وأبا الزنباع روح بن فرج , ويحيى بن عثمان بن صالح , ويحيى بن أيوب العلاف ، وجماعة .

حدَّث عنه : الدارقـطنى , وابن شاهيــن , وابن المظفر , وأبو الحسن بن رزقويه , وأبو الحسين بن بشران وغيرهم .

توَّفى فى ذى القعدة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

(8) أبو عبـيد القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الضبىِّ ، أخو القاضى المحاملى[2].

صنو أخيه فى التقوى والطاعة . والحافظ للعهود بالصبر والقناعة . قد تبوأ فى الحديث تكرمة دونها العلياء . واهتزت لخطابته من المنابر الأعواد والأرجاء . فى بديهةٍ تنبئ عن فراسة الأتقياء . وعبارات لا يتفوَّه بها إلا البلغاء الفصحاء .

صافى الطويَّة من غلٍّ يكدرها وأولُ المجد أن تصفوا الطوياتُ

---

[1] ترجمته فى : ((البداية والنهاية))(11/222) , و ((تاريخ بغداد))(12/75) , و ((سير الأعلام)) (15/381) , و ((شذرات الذهب))(2/348) , و ((العبر))(2/55) , و ((الفهرست))(263) .

[2] ترجمته فى : ((تاريخ بغداد))(12/447) ، و ((سير الأعلام))(15/263) ، و ((شذرات الذهب)) (2/300) ، و ((العبر))(2/20) .

سـمع : عمرو بن على الفلاس ، ومحمد بن المثنى ، ويعقوب الدورقى ، وأبا الأشعث العجلى ، وأبا السائب سلم بن جنادة ، وزياد بن أيوب ، وخلائق .

وحدَّث عنه : الدارقطنى ، وابن شاهين ، وابن المظفر ، وأبو بكر بن شاذان ، ويوسف بن عمر القواس وغيرهم .

توفى فى رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة .

***

(9) محمد بن نوح بن عبد الله البغدادى ، أبو الحسن الجنديسابورى[1] .

الإمام الحافظ الثبت النحرير . وبحر العلم الذى يُغترف منه الفضل النمير . له فى التصانيف عرائس أفكار . ولوامع أنوار . سرَّت بها قـلوب القبول . ورضيتها مدارك العقول .

سـمع : الحسن بن عرفة ، وشعيب بن أيوب الصريفينى ، وهارون بن إسحاق الهمدانى ، وطبقتهم .
وحدَّث عنه : الدارقطنى ، وابن شاهين ، وأبو بكر بن شاذان ، وعيسى بن الوزير .
قال الدارقطنى : ثقة مأمون ، ما رأيت كتباً أصح من كتبه ولا أحسن .
توفى فى ذى القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

(10) أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب الحافظ البغدادى[2] .
صدر مجالس الحديث والإملاء . وأوحد الحفاظ الأعلام النبلاء . وروضة علم ثمارها نضيرة . وسماء مناقب كواكبها منيرة . رحال جوال . وأعلم أهل طبقته بالعلل والرجال . وهو ممن تبرَّجتْ لرؤيته عرائس المجد . ونظمت له فى جيد الزمان أثمن عقد .
سمع : الحسن بن عيسى الماسرجسى ، ومحمد بن سليمان لوين ، ويحيى بن سليمان بن نضلة ، وأحمد بن منيع ، ومحمود بن خداش الطالقانى ، وعقبة بن مكرم العمى ـــــــ
[1] ترجمته فى : ((الأنساب))(3/318) ، و ((تاريخ بغداد))(3/324) ، و ((تذكرة الحفاظ))(3/826) ، و ((سير الأعلام))(15/35) ، و ((طبقات الحفاظ))(344) .
[2] ترجمته فى : ((تاريخ بغداد))(14/231) ، و ((تذكرة الحفاظ))(2/776) ، و ((سير الأعلام)) (14/501) ، و ((طبقات الحفاظ))(1/328) .
البصرى ، وأحمد بن المقدام بن سليمان العجلى ، وأحمد بن سنان بن أسد الواسطى ، والحسن بن محمد الزعفرانى ، ومحمد بن عثمان بن كرامة العجلى ، وعلى بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب والحسين بن الحسن المروزى ، وإبراهيم بن سعيد الجوهرى ، ويوسف بن موسى القطان ، وزياد بن أيوب ، والنجارى ، وخلائق عدَّة .
حدَّث عنه : عبد الله بن محمد البغوى ، ومحمد بن عمر الجعابى ، وأبو أحمد بن عدى ، وأبو عمر بن حيويه ، والدارقطنى ، وابن شاهين ، وابن المظفر ، وغيرهم .
قال حمزة بن يوسف السهمى : سمعت أبا الحسن الدارقطنى يقول : بنو صاعد ثلاثة : يوسف وأحمد ويحيى بنو محمد بن صاعد ، ويحيى أصغرهم ، وأعلمهم وأثبتهم .
وقال أحمد بن عبدان الشيرازي : هو أكثر حديثا من الباغندي ولا يتقدمه أحد في الرواية .

وقال أبو علي النيسابوري : لم يكن بالعراق في أقرانه أحد في فهمه ، والفهم عندنا أجل من الحفظ ، وهو فوق ابن أبي داود في الفهم والحفظ .

توفى فى ذى القعدة سنة ثمان عشرة وثلاثمائة .

ثناء العلـماء عليه

قال أبو عبد الله الحاكم :))صار الدارقطني أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع ، وإماما في القرَّاء والنحويين ، وقد أقمت ببغداد أربعة اشهر ، وكثر اجتماعنا بالليل والنهار ، فصادفته فوق ما وصف لي ، وسألته عن العلل والشيوخ ، وله مصنفات ، فأشهد أنه لم يخلف على أديم الأرض مثـله)) .

قال أبو بكر الخطيب البغدادى : ((كان الدارقطنى فريد عصره ، وقريع دهره ، ونسيج وحده ، وإمام وقته . انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال ، مع الصدق والثقة ، وصحة الاعتقاد ، والاضطلاع من علوم سوى الحديث ، كالقراءات ، فإن له فيها مصنفا سبق فيه إلى عقد الأبواب قبل فرش الحروف ، وتأسى القراء به بعده ، ومنها المعرفة بمذاهـب الفقهاء ، ومنها المعرفة بالآداب والشعر ، فقد كان يحفظ دواوين جماعة منهم السيد الحميرى ، ولهذا نسب إلى التشيع)) . وما أبعده عن التشيع ، وأبغضه له ! .

قال الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد الهروي : ((قرأ الدارقطني ((كتاب النسب)) على مسلم العلوي ، فقال له المعيطي الأديب بعد القراءة : يا أبا الحسن أنت أجرؤ من

خاصي الأسد ، تـقرأ مثل هذا الكتاب مع ما فيه من الشعر والأدب ، فلا يؤخذ فيه عليك لحنة !)).

قال أبو القاسم الازهري :)) كان الدارقطني ذكياً ، إذا ذوكر شيئاً مـن العلم أيَّ نـوعٍ كان ، وجد عنده منه نصيب وافر ، ولقد حدثـني محمد بن طَلحة النـعالي : أنه حـضر مع أبي الحسن دعوة عند بعض الناس ليلة ، فجرى شيءٌ من ذكر الأكلة ، فاندفع أبو الحسن يورد أخبار الأكلة وحكاياتهم ونوادرهم ، حتى قطع أكثر ليلته بذلك)) .

قال أبو الحسن العتيقي :)) حضرت مجلس الدارقطني ، وجاءه أبو الحسن البيضاوي برجلٍ غريبٍ ، وسأله أن يملى عليه أحاديث ، فأملى عليه من حفظه مجلساً يزيد أحاديثه على العشرين ، متن جميعها ((نعم الشيء الهدية أمام الحاجة)) ، فانصرف الرجل ، ثم جاءه بعد وقد أهدى له شيئاً ، فقربه إليه ، فأملى عليه من حفظه سبعة عشرة حديثاً ، متونها ((إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه)) .

قال الحافظ عبد الغنى بن سعيد الأزدى :)) أحسن الناس كلاماً على حديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثلاثة : على بن المدينى فى وقته ، وموسى بن هارون فى وقته ، وعلى بن عمر الدارقطنى فى وقته)) .

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن غالـب البرقانى :)) كان الدارقطنى يـملى علىَّ كتـاب ((العلل)) من حفظه ، وأنا الذى جمعتها ، وقرأها الناس من نسختى)) .

قال حمزة بن محمد بن طاهر الحافظ :)) كنت عند الدارقطنى وهو قائم يصلى يتنفل ، فقرأ أبو عبد الله بن الكاتب ((عمرو بن شعيب)) فقال ((عمرو بن سعيد)) ، فسبَّـح الدارقطنى ، فأعاد وقال ((ابن سعيد)) ووقف ، فتـلا الدارقطنى)) يا شعيب أصلاتك تأمرك)) فقال ابن الكاتب ((شعيـب)) .

قال أبو عبد الرحمن السلمى : ((شهدت بالله أن شيخنا الدارقطنى لم يخلف على أديم الأرض مثـله فى معرفة حديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وكذلك الصحابة والتابعين وأتباعهم)) .

قال أبو نصر على بن هبة الله بن ماكولا : ((رأيت كأنى اسأل عن حال الدارقطنى فى الآخرة ، فقيل لى : ذاك يدعى فى الجنَّة الإمام)) .

قال أبو محمد الألفى : ((علم الحديث مدينة وعلىٌّ بابها . ومحط آمالٍ تنورتها أبصار الفضلا وألبابها . فهو البحر الذى لا تكدره الدلاء . والجامع أشتات الفضائل التى عجزت عن كنه

وصفها الأسماء . سلَّم إلى يد الشرف عنانه . ونثر على جيد الزمان جمانه . فى تصانيف أبهى من الرياض الزاهرة . وأهدى فى طرق الهداية من الليالى المقمرة . ((والفجر . وليالٍ عشر)) . ودَّت آذان الدهر لو كانت لتصانيفه دار نشر . فهى التى تحج إليها الأفئدة والبصائر . وتعتكف فى حرم إفادتها الأسماع والضمائر . وقد جاوزت الآفاق وسارت مسير الشمس . فلم يجحد فضلها إلا الذى يتخبطه الشيطان من المس)) .

تصانيفه

(1) كتاب ((العلل)) .
(2) كتاب ((السنن)) .
(3) كتاب ((أحاديث النزول)) .
(4) كتاب ((أحاديث الصفات)) .
(5) كتاب ((عشرون حديثاً من كتاب الصفات)) .
(6) كتاب ((رؤية الله جل وعلا)) .
(7) كتاب ((بيان نزول الجبار كل ليلة رمضان وليلة النصف من شعبان ويوم عرفة)) .
(8) كتاب ((غريب الحديث)) .
(9) كتاب ((القراءات)) .
(10) كتاب ((أحكام البسملة)) .
(11) كتاب ((الجهر بالبسملة فى الصلاة)) .
(12) كتاب ((فضائل الصحابة ومناقبهم)) .
(13) كتاب ((الأسخياء)) .
(14) كتاب ((الإخوة والأخوات)) .
(15) كتاب ((الغرائب والأفراد)) .
(16) كتاب ((الإلزامات على صحيحى البخارى ومسلم)) .
(17) كتاب ((التتبع وهو ما أخرج على الصحيحين وله علة)) .
(18) كتاب ((رجال البخارى ومسلم)) .

(19) كتاب ((أسماء الصحابة التى اتفق فيها البخارى ومسلم ، وما انفرد به أحدهما)) .
(20) كتاب ((بيان ما اتفق عليه البخارى ومسلم ، وما انفرد به أحدهما عن الآخر)) .
(21) كتاب ((ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عند مسلم)) .
(22) كتاب ((ذكر قوم أخرج لهم البخارى ومسلم وضعفهم النسائى فى كتابه)) .
(23) كتاب ((ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته عند البخارى)) .
(24) كتاب ((المؤتلف والمختلف)) .
(25) كتاب ((الفوائد المنتخبة والمنتـقاة)) .
(26) كتاب ((الفوائد المنتـقاة من الغرائب الحسان)) .
(27) كتاب ((الفوائد المنتقاة الحسان لابن معروف)) .
(28) كتاب ((أربعون حديثاً من مسند بريد بن عبد الله بن أبى بريدة)) .
(29) كتاب ((الأحاديث الرباعيات)) .
(30) كتاب ((الأحاديث التى خولف فيها الإمام مالك)) .
(31) كتاب ((غرائب مالك)) .
(32) كتاب ((ذكر من روى عن الشافعى)) .
(33) كتاب ((المستجاد من الحديث)) .
(34) كتاب ((المدبج)) .
(35) كتاب ((تصحيف المحدثين)) .
(36) كتاب ((الذيل على تاريخ البخارى الكبير)) .
(37) كتاب ((الجرح والتعديل)) .
(38) كتاب ((الضعفاء والمتروكين)) .
(39) كتاب ((أخبار عمرو بن عبيد)) .
(40) كتاب ((سـؤالات الحاكم النيسابورى للدارقطنى)) .
(41) كتاب ((سـؤالات حمزة بن يوسف السهمى للدارقطنى)) .
(42) كتاب ((سـؤالات أبى عبد الرحمن السلمى للدارقطنى)) .
(43) كتاب ((سـؤالات أبى ذر الهروى للدارقطنى)) .
(44) كتاب ((سـؤالات عبد الغنى بن سعيد الأزدى للدارقطنى)) .
(45) كتاب ((سـؤالات أبى بكر البرقانى للدارقطنى)) .

*** *** ***
***

وفاتـه

لم يزل الدارقطنى يصرف نقد أوقاته . ورأس مال عمره وحياته . فى تحصيل العلوم والإقبال على العبادة . وترك فضول الدنيا والتواضع لما فيهما من السعادة .
وفى ذى القعدة من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة غار ماء حياته . وانفتح له قبره عند مماته . وعصفت رياح المنية بروضه القشيب . وهصرت يد الموت غصنه الرطيب . وختمت بمواثيق القضاء صحائف أعمالـه . وتلقته ملائكة الغفران لتبشره بحسن مآله .